الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة



قلعة صلاح الدين الأيوبى وما حولها من الآثار

تأليف
دكتور عبد الرحمن زكى

الناشر
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
القاهرة
١٣٩١هـ - ١٩٧١م

قلعة صلاح الدين الأيوبي
وما حولها من الآثار

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة

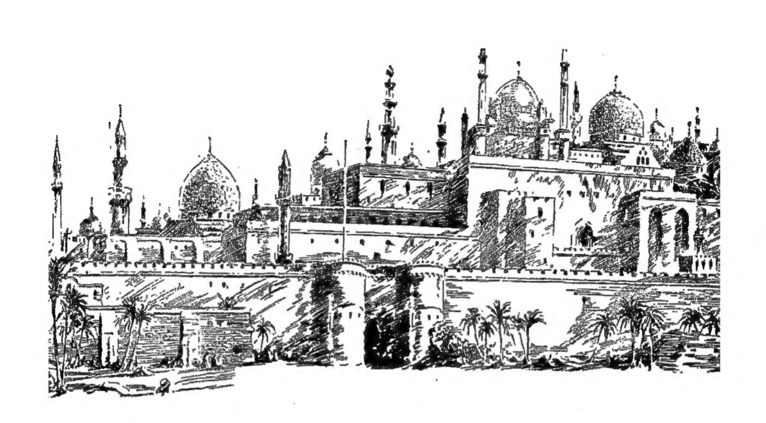
الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة



قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار

تأليف
دكتور عبد الرحمن زكي

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م



ان البنــاء اذا تعــاظم قدره
أضحى يدل على عظيم الشان

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها
من بعــدهم فبألسن البنيان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم
ملك محاه حــوادث الأزمان

المحتـــوى

الفصل الأول ١٥ــ٢٨

الفصل الثانى ٢٩ــ١٠٢

القلعة فى أيام السلطان المنصور قلاوون ــ القلعة فى أيام الناصر محمد ابن قلاوون ــ مسجد الناصر محمد ــ البرج ــ الايوان ــ القصر الأبلق ــ باب القلة ــ دار النيابة ــ الطباق ــ الطبلخانة والحوش ــ الاسطبلات ــ الميدان ــ قاعة الدهيشة ــ قاعة البيسرية ــ القلعة فى أيام المماليك الشراكسة ــ وصف الرحالة للقلعة ــ خليل بن شاهين ــ أعمال قايتباى .

القلعة فى أيام العثمانيين ــ مسجد السارية (السليمانية) ــ مسجد أحمد كتخدا ــ باب العزب ــ الرحالة سافارى ــ القلعة فى أيام الحملة الفرنسية ــ القلعة فى أيام محمد على ــ الباب الجديد ــ دار المحفوظات القديمة ــ الباب الأوسط (الوسطانى) ــ باب القلة ــ قصر الحرم ــ المدارس والأدوات الحكومية ــ المتحف الحربى ــ جامع محمد على ــ قصر الجوهرة ــ متحف قصر الجوهرة ــ دار الضرب ــ دار الصناعة ــ أسوار القلعة وتجديدها ــ تواريخ هامة فى تاريخ القلعة .

الفصل الثالث ١٠٣ــ١١٦

الجولة الرابعة :

قبة يعقوب شاه ــ مدينة المقطم ــ مشهد الجيوشى ــ قلعة محمد على ــ تكية المغاورى ــ الأباجية ــ مشهد أخوة يوسف ــ مسجد اللؤلؤة ــ قبة عمر بن الفارض ــ قبة شاهين الخلوتى ــ مقابر المماليك ــ قرافة السيوطى ــ قبة قوصون . مئذنة قوصون ــ زاوية السيوطى ــ قبة ومنارة وبقايا التربة السلطانية ــ قبة يونس الدوادار ــ منارة الأمير قوصون ــ قبة على بدر الدين القرافى ــ قبة مصطفى أغا جالق ــ قبة الصوابى ــ قبة الأمير سودون ــ أيوان

ريحان ـــ قبة الأمير تنكزيغا ـــ قبـة ايوان المنوفى ـــ آثار عرب اليسار ـــ ساقية المياه ـــ قبة الشيخ عبد الله ـــ منارة ومسجد الغورى ـــ مسجد مسيح باشا ـــ قبة الأمير فارس الدين أقطاى ـــ مسجد محمد عزت باشا ـــ ضريح الزعيم مصطفى كامل .

الفصل الرابع ١١٨ـــ١٢٨

الجولة الخامسة :

مسجد قانصوه الغورى ـــ منارة قانى باى الجركسى ـــ زاوية مصطفى باشا ـــ مسجد السيدة عائشة ـــ زاوية زين الدين يوسف ـــ قرافات جنوب القاهرة ـــ قرافة السيدة نفيسة ـــ جبانة سيدى الشاطبى ـــ جبانة سـيدى أبو الوفا ـــ قرافة الامام الشافعى ـــ مسجد بدر الدين الوفائى ـــ قبة أم الصالح ـــ قبة الأشرف خليل ـــ قبة موفق الدين ـــ قبة الخلفاء العباسيين ـــ منارة مسجد أزدمر ـــ تربة آمنة قادن ـــ تربة رضوان بك ـــ تربة عثمان بك القازدغلى ـــ مدافن السادات المالكية ـــ حوش عثمان بك أبو سيف السنارى ـــ قبة رقية دودو ـــ قبة مصطفى شاهين ـــ مسجد السيدة نفيسة ـــ المحراب الخشبى بمتحف الفن الاســلامى ـــ تربتا على بك الكبير واسماعيل بك الكبير ـــ حوش الباشا .

الفصل الخامس ١٢٩ـــ١٣٩

الجولة السادسة :

ضريح الامام الشافعى وقبته ـــ سـبيل وكتاب ومدفن رضوان أغا الرذاذ ـــ قبة الحصواتى ـــ تربة الثعالبة ـــ قبة السيد يحيى الشبيه ـــ قبة القاسم الطيب ـــ مشهد السيدة كلثوم ـــ قبة القاضى

الشاطبى ـــ مســجد الســادات الوفائية ـــ مقــام ابن عطاء الله الاسكندرى ـــ مقام ابن دقيق العيد ـــ مقام محمد بن سيد الناس ـــ مقام عبد الله بن أبى حمزة ـــ مقام الكمال بن الهمام ـــ مقام أبو المواهب التونسى ـــ مشهد آل طباطبا ـــ حمامات عين الصيرة ـــ مسجد الامام الليث ـــ تربة الفخر الفارسى ـــ مسجد سيدى عقبة ـــ قبة فاطمة البيضاء ـــ قبة أبى الفيض ذى النــون المصرى ـــ قبة الزيلعى ـــ قبة رابعة العدوية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا تزال فى القاهرة بعض قطاعات ترجع بنا الى العصور الوسطى ، ويعود الفضل فى ذلك الى ما يقوم فيها من آثار تلك القرون ومخلفاتها . تلك القرون التى عاشتها مصر وهى تتمتع بأزهى أيام السيادة والحضارة . هذه الآثار التى تعود بنا الى ذكريات التاريخ الماضية ، وتمدنا بأصدق الأوضاع التى مرت بالقاهرة دون مبالغة أو زيف . (١)

فمنذ شيد الفاطميون القاهرة ، أصبحت مركزا سياسيا تنافس أعظم قاعدتين اسلاميتين : بغداد فى الشرق ، وقرطبة فى أقصى الغرب . ثم نهض الأيوبيون قبل نهاية القرن الثانى عشر ، فأزال صلاح الدين الدولة الفاطمية وأسس دولته الشامخة . وكان أول ما قام به ، أن شيد قلعة الجبل التى اشتهرت باسمه وصارت تعرف بقلعة صلاح الدين .

كان لموقع القلعة واشرافها على القاهرة أثر كبير فى امتداد رقعة العاصمة الاسلامية .فارتبطت شمالا بقاهرة الفواطم ، واتصلت جنوبا بالقطائع والعسكر والفسطاط . ولا غرو فى ذلك فقد أصبحت القلعة فى أيام الأيوبيين ومن بعدهم المماليك ثم العثمانيين مقر الحكم ومركز

---

(١) تشتمل هذه الآثار على دور العبادة والمدارس والزوايا والاربطة والوكائل والخانات والاسبلة ..

السلطان أو ولاته الحاكمين باسمه . ومنذ ذلك الحين مرت بها أحداث مصر وأمجادها . ولذلك يعتبر تاريخ قلعة الجبل تاريخا لمصر وما اتصلت به من البلدان العربية ، فهى سجل خالد ، وشاهد حق ، وثبت صادق ، وكأن أحجارها تروى لنا تاريخ بلادنا .

والحديث عن قلعة الجبل وما حولها من الآثار الجليلة هو حديث ممتع ، حديث تاريخى وعمرانى ، شبيه بسيموفونية متواصلة ، نستمتع خلالها بأنشودة لمدينة القاهرة ، وما شيده أبناؤها فيها من المساجد العامرة والمدارس الجليلة والدور الرائعة والأضرحة والأسبلة ... وما مر بتلك المؤسسات الدينية والمدنية والحربية من أحداث هامة فى تاريخ مصر الاسلامية .

وأتناول اليوم فى هذه الصفحات ما آل اليه حى القلعة ومانهض فيه من الآثار الرائعة ، وقسمت حديثى الى جولات ليستطيع القارىء الكريم زيارة ما يرغب منها متى شاء . وقد حظيت قلعة صلاح الدين فيه بنصيب الأسد (١) ، ثم تناولت فى أحاديث أخرى ما تناثر من تلك الآثار فى شمالها وجنوبها وبالقرب منها وكأننا أمام رقعة من الفسيفساء الجميلة رضعتها تلك المجموعة من الآثار الجميلة ! .

وانى لأتقدم الى لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بخالص الوفاء والشكر اذ اختارتنى بين السادة الزملاء المشاركين فى كتابة احدى حلقات هذه السلسلة من كتب الآثار المصرية والاسلامية وذلك لنشر وعى حب الآثار والتعرف عليها .

مايو ١٩٦٨ — والله يوفقنا .

عبد الرحمن زكى

---

(١) لانها النموذج الفريد فى العمائر الحربية .



الفصل الأول

تمهيد

ميدان صلاح الدين وما يتفرع منه

يفخر خط الخليفة أو القلعة بمجموعة رائعة من الآثار الاسلامية التى ترقى الى زمن الفاطميين ، وعصر الأيوبيين ، وأيام المماليك البحرية والشراكسة ، وعهد العثمانيين ، وتشتمل أيضا على طائفة من آثار العصر الحديث التى تنسب الى القرنين التاسع عشر والعشرين .

تطل قلعة الجبل على ميدان صلاح الدين ، وقد عرف أيضا بميدان الرميلة ، وكان به الميدان السلطانى أو ميدان القلعة وسمى أيضا « قره ميدان » أى الميدان الأسود [1] ، وكان فى الجزء الشمالى منه سوق الخيل تجاه مدرسة السلطان حسن ، وتعرف الرميلة اليوم بالمنشية .

ويتصل بميدان صلاح الدين طائفة من الآثار الجليلة ، منها مدرسة السلطان حسن ، ومساجد الرفاعى ، والمحمودية ، وقانى باى الرماح ، وفى وسطه ضريح الزعيم الوطنى مصطفى كامل . وكانت به حتى عهد قريب : محطة الميدان التى كانت تؤدى قطاراتها الى حلوان ، وكذلك مسطبة المحمل . ويطل على هذا الميدان من شماله درب اللبانة وفيه اليوم دار الفنانين ، وتكية تقى الدين البسطامى ، ومسجد جوهر اللالا . ومخلفات بعض الآثار الاسلامية .

---

(1) هذا الميدان من أقدم ميادين القاهرة شيد فيه أحمد بن طولون قصره العظيم، ثم أصبح مركز ثقل العاصمة منذ أيام الايوبيين حتى أوائل القرن ١٩ حينما عرف بسوق العصر حيث كان يقام فيه سوق عصر كل يوم .

يتفرع من ميدان صلاح الدين عدة طرق تطل عليها العمائر القديمة ، نذكر منها : شارع الامام الشافعى ، وشارع الأقدام المؤدى الى مقابر السيدة نفيسة ، وشارع السيدة عائشة ، وشارع درب الحصر ، وشارع شيخون ، وعلى امتداده شارع الصليبية ، وشارع قره قول المنشية المؤدى الى شارع دار السيوفية ، وعلى امتداده شارع الركبية ، وشارع القلعة (محمد على سابقا) ويؤدى الى ميدان باب الخرق (أحمد ماهر اليوم) ثم الى ميدان العتبة الخضراء ، وشارع سوق السلاح المنتهى الى شارع التبانة والدرب الأحمر ، وسكة المحجر الممتدة الى شارع باب الوزير . والى جوار القلعة من شمالها يتفرع شارع باب الوداع المؤدى الى القرافة .

وتقع القلعة وما حولها من الآثار القريبة فى خط الخليفة ، وهو تابع من الناحية الادارية الى قسم الخليفة ويشتمل على الشياخات الآتية :

الامامين ــ البساتين ــ البقلى ــ التونسى ــ الحطابة ــ الحلمية ــ الخليفة ــ درب الحصر ــ درب غزية ــ السيدة عائشة ــ الصليبة ــ عرب اليسار ــ القادرية ــ المحجر . ويبلغ عدد سكان القسم حوالى ٣٣٦٠٠٠ نسمة ويتبع هذا القسم نقطة الامام الشافعى . وفى السنوات الأخيرة هدمت منطقة عرب اليسار ونقل سكانها الى حى سكنى جديد ، وأزيلت أيضا منطقة عزبة هريدى المتاخمة لشارع سور العيون ، واتصلت هذه المنطقة بمنطقة قصر العينى بوساطة طريق جميل مواز لقناطر المياه ، كما هدمت مبانى سجن قره ميدان (المنشية) وأقيمت حديقة فى مكانه .

ولنبدأ أولا الحديث عن مدرسة السلطان حسن .

مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون
(أثر رقم ١٣٣)

تواجه قلعة صلاح الدين ، وهى من عجائب العمارة الاسلامية وأجمل بناء أقيم فى الاسلام . أمر بانشائها السلطان حسن (ت٧٦٢هـ) لتكون مدرسة للمذاهب الأربعة ، وألحق بها مساكن للطلبة ، ولتكون أيضا مسجدا . تبلغ مساحتها ٧٩٠٦ من الأمتار المربعة ، ويبلغ ارتفاع المدخل ٣٦٫٧٠ مترا وهو من أفخم مداخل المساجد وأعلاها .

ومن الصعب تحديد شكل المدرسة / المسجد ففى وضعه بعض ازورار . فهو اذن كثير الأضلاع . يبلغ طوله ١٥٠ مترا ، وأطول عرضيه ٦٨ مترا . ويتوسط صحن المدرسة ميضأة جميلة تعلوها قبة . وعلى جوانب الصحن ، أربعة ايوانات ، أكبرها الايوان الشرقى الذى توجد فيه القبلة ، لا نظير له فى سعته وارتفاعه ، اذ تبلغ فتحته ١٩٫٢٠ مترا ، يحيط به افريز نادر من الجص به كتابة رائعة تتخللها زخارف جميلة . صمم المسجد على الأسلوب المتعامد الشكل (الصليبى) ، وذلك ليخص كل مذهب مدرسته .

وقد توفى السلطان حسن (١٣٦١ م) قبل أن يكمل المسجد فواصل عمارته أحد أمرائه وهو بشير أغا الجمدار (٧٦٤ هـ ـــ ٧٦٦ هـ) .

لم يكن اسم المهندس الذى قام بتشييد هذا المسجد الرائع معروفا حتى اكتشفه العالم المرحوم حسن عبد الوهاب فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ (تاريخ المساجد الأثرية ص ١٧٩) . فقد عثر عليه فى المدرسة الحنفية مكتوبا فى طرازها الجصى بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم

ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم ... الى قوله تعالى : وما هم منها بمخرجين . اللهـم يا دائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصا أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الاسلام والمسلمين وأحييت .. حسن ابن مولانا الـ .. عنه ماوليته وخلده فى ذريته كتبة تحمو دولته . وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسنى » . ومعنى كتبة تحمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته ، وقد كتب تحمو بدلا من تحمى) . ومن أعمال الاصلاح العظيمة التى أجريت بهذا الأثر الخالد ، ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية تحت اشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها وقد انتهت فى منتصف عام ١٩١٥ .

يقرأ على كل من أبواب المدارس المطلة على الصحن مانصـه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هـذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السـلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة أربع وستين وسـبعمائة » . مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : الشافعى ، أو الحنفى ... الخ . وقد تم بناء الفسقية التى بالصحن سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م . وقد كتب بدائرها تاريخ الفراغ من بنائها . وقد أتم الطواشى بشير الجمدار بناء القبة الكبيرة وكتب بافريزها آية الكرسى ، ثم عبارة نصها : « وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة » .

وصف المقريزى المؤرخ هذه المدرسة بقوله : ... « فلا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق . والمغرب واليمن مثلهما . ويقول عنها المؤرخ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى : « ليس لها نظير فى الدنيا فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارتها طلب مهندسين

من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسة لم يعمر أعلى منها فعمرت وهى عجيبة من عجائب الدنيا » . ويشهد الورثلانى الرحالة المغربى الذى زار مصر حول عام ١١٧٩ بأنه « مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء والارتفاع واحكام اتساع حناياه وسعة مدخله فكأنه جبال منحوتة تصفق فيها الرياح كمـا تفعل فى شواهق الجبال » .

وفى العصر الحديث يصفه جاستون فيت المستشرق المعروف بقوله: « انه لأبدع آثار القاهرة وأكثرها تجانسا وتماسكا وكمالا ووحدة وأجدرها بأن يقـوم بجانب تلك الآثار الرائعة التى خلفتها مدنية المصريين القدامى ... وهو وان كان أقل شـهرة من غيره من الآثار الاسلامية ، الا أنه قد يكون أهم وأعظم من قصر الحمراء بغرناطة » .

أما جابريل شارم من علماء تاريخ الفن فقد كتب عنه : « ان قبته العظيمة ومنارته وجدرانه العارية الشـاهقة المنتهية بكورنيش فخم وأشكال كخلايا النحل تبهر النظر بشكلها الأنيق . ان باب المسجد تحفة فنية من أكمل الألطاف العربية ، علوه شاهق يتناسب مع اتساعه ويعلوه نصف قبة مقسمة على هيئة مقرنصات فى تجويف عميق ينتهى بباب الدخول المصفح بالبرونز المزركش . وداخل المسـجد أعظم ، فالصحن وما فيه من الفسقية محاط بعقود توصل الى ايوان القبلة . كتابات كوفية محفورة فى الحائط مكونة من حروف حجمها غير شائع تزينها فروع نباتية . ثم يدخل المرء حجرة القبر ، وقبته تبـدو أكثر ارتفاعا من قبة البانثيون بباريس وأوسع منها مرات » .

وننتقل بعد زيارتنا لهذا الأثر الجليل الى قصر الأمير قوصون أو الى ما تبقى منه .

قصر الأمير قوصون (أثر ٦٦)

يجاور مدرسة السلطان حسن من الناحية الغربية ، بقايا قصر قوصون . لم يبق منه سوى المدخل الرئيسى . أنشأه الأمير سيف الدين قوصون الساقى ، وصهر السلطان الناصر محمد بن قلاوون حوالى ٧٣٨ هـ / ١٣٨٨ . ولما آل القصر الى الأمير يشبك بن مهدى سنة ١٤٧٥ زاد فيه زيادات ، وكتب اسمه وألقابه على جانبى مدخله ، كما نقش رنكه على جانبيه ، ويشتمل المدخل على مقرنصات دقيقة ، وكسى الباب بالرخام وحوى اسم الناصر محمد سلطان زمانه ، واسم صانعين عملا فى هذا القصر ، وهما محمد بن أحمد ، وأحمد زغلش الشامى . ونص الكتابة : « .. مما أمر بانشائه برسم المقر الأشرف العالى المولوى الأميرى الأجلى الكبير المحترمى المخدومى الاسفهسلازى المجاهدى المرابطى المؤيدى المنصورى الغازى المثاغرى ... ذخر الأيتام والمحتاجين منصف المظلومين من الظالمين بغية الملوك السيفى يشبك من مهدى أمير دوادار ... كبير وباش العساكر المنصورة ومدير الممالك الاسلامية ، وذلك فى شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وثمانمائة » .

واذا نحن فرغنا من زيارة القصر ونظرنا نحو الشمال .. لوجدنا بقايا قصر جليل آخر ، لم يبق منه سوى بابه وبعض منقوشاته .

باب قصر الأمير منجك السلحدار (أثر ٢٤٧)

ويواجه بقايا القصر المذكور ، مدخل شارع سوق السلاح من القلعة . كان يقع هذا القصر على رأس طريق بالقرب من مدرسة الجاى اليوسفى . أنشأه الأمير منجك سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ ولم يبق من هذا القصر سوى مدخله وعليه رنكة منقوش فى الحجر ، وهو السيف ومكتوب حول القبو المعطى للمدخل اسم المنشىء وألقابه ، نقشت

على جانبي الباب الكتابة الآتية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أنشأ هذا المكان المبارك المقر الأشرف العالي المولوى الأميرى الكبيرى المحترمى المخدومى المجاهدى المرابطى المثاغرى المؤيدى المنصورى السيدى لسندى المالكى الهمامى القوامى النظامى العضدى الذخرى النصيرى الكفيلى الزعيمى المقدمى الاسفهلارى عمدة الملوك اختيار السلاطين السيفي سيف الدين منجك السلاح دار الملكى المظفرى أدام الله السعادة وبلغه فى الدارين الارادة » . (كراسات لجنة حفظ الآثار عام ١٨٩٤ ص ٤١) .

ولنرجع ثانية مارين بحديقة مسجد الرفاعى ، لنبدأ جولتنا فيه .

مسجد الرفاعى

يقابل هذا المسجد الكبير مدرسة السلطان حسن . وسنبدأ الحديث عن تاريخ هذا المسجد قبل أن نصفه .

فى عام ١٨٦٩/ ١٢٨٦ هـ ، تحدثت الأميرة « خوشيار » والدة الخديو اسماعيل الى القائمين بادارة أملاكها أن يشتروا الأماكن المحيطة بزواية سيدى على الرفاعى ، فكان لها ما أرادت واشتروا كل ما كان على مساحة الأرض حول الزاوية المذكورة (١) ، وأن يقام هناك مسجد تؤدى فيه الشعائر الدينية على أن يكون بناؤه حول ضريح سيدى على الرفاعى ، مع انشاء مدافن لها وللمتوفين من أعضاء أسرتها الى جانب المسجد المذكور . أما ما تبقى من الأرض ، فقد أوصت بأن تشيد عليه عمائر ذات ريع لاستغلالها والصرف منها على المسجد وملحقاته .

---

(١) كان يقع فى غربها حارة حلوات ، وفى الشمال حارة المبلغ ، ومن الشرق حارة درب اللبان وجوهر اللالا ، وماكان فى درب المصنع وكوم الحكيم الى شارع المحجر ومايلى ذلك بجوار جامع المحمودية وأمير اخور ، عدا أماكن اخرى فى الناحيتين الغربية والجنوبية من مدرسة السلطان حسن .

ولهذا أناطت الأميرة بالمهندس حسين باشا فهمى وضع تصميم فخم ، يليق بأن يزهو أمام مدرسة السلطان حسن درة العمائر الاسلامية فى مصر . فوضع التصميم ومن ثم أخذ « خليل أغا » كبير الأغوات فى قصر الأميرة فى تنفيذ بناء المسجد ، فاستحضر وسائل البناء ، وأنشأ سكة حديدية الى ناحية البساتين لجلب الحجارة الضخمة منها . وفى أثناء عملية البناء توفيت الأميرة (١٣٠٣ هـ ـ ١٨٨٥) فدفنت بالجهة الشرقية من المسجد (ولم يكن قد انتهى البناء) وبعد تسع سنوات لحق بها ابنها اسماعيل ، فدفن الى جانب والدته . ثم تعطل العمل عقب وفاة الأميرة وظل معطلا حوالى ربع القرن الى أن تولى الخديوية عباس الثانى ، فأمر بتكملة بناء المسجد ، ولكن الجدران والعمد كانت قد تداعت الى السقوط ، فواصل العمل المهندس « جيد » تحت اشراف نظارة الأشغال العمومية .

وفى عام ١٩٠٥ عمل تصميم آخر وضعه المعمارى الألمانى « ماكس هرتز » باشا ، باشمهندس الآثار العربية حينذاك وأدخل فى التصميم طريقة الأسمنت المسلح وجلب عدة أنواع من الرخام والمرمر من اليونان وتركيا ، واستعملت منه الأبواب والدكة ، ومن ايطاليا وبلجيكا وألمانيا . واستؤنف البناء تحت اشراف أحمد خيرى باشا ناظر الخاصة الخديوية . فتم المسجد وبلغ ما صرف عليه ٥٧٠٠٠٠ من الجنيهات . وقد افتتح رسميا فى يوم الجمعة أول المحرم عام ١٣٣٠ هـ .

صفة المسجد :

مستطيل الشكل من الداخل ومساحته حوالى ٦٥٠٠ مترا مربعا ، منها ١٧٦٧ مترا للجزء المعد للصلاة ، وباقى المساحة للمدافن ومايتبعها من المرافق .

فاذا دخلنا مسجد الرفاعي من الباب الغربي وجدنا مساحة صغيرة ثم تقابلنا حجرة تعلوها قبة زواياها الخشبية محلاة بالذهب والكتابة الخطية الجميلة . ولكل جدار من جدرانها الأربعة باب يؤدى الى المسجد ، وفى وسط الحجرة تربة سيدى على أبي الشباك ، وسيدى على الرفاعي . وبين البابين القبليين حجرة تعلوها قبة زواياها محلاة بالنقوش والكتابة الجميلة ، وفى وسطها مقصورة بديعة من الخشب المخروط المطعم بالعاج والأبنوس ، أقيمت على ضريح سيدى على الأنصاري .

وفى وسط الواجهة الشرقية للمسجد المحراب المغشى بالرخام الملون ويكتنفه أربعة عمد من الرخام ونقش فوق المحراب بالخط الثلث قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ... الآية » . وبجانب المحراب ، المنبر وهو من الخشب النقى المطعم بالعاج والأبنوس وقد نقشت على بابه بعد البسملة « ان الله وملائكته يصلون على النبى ... الآية » وفى مقابل المحراب دكة للمبلغين والمؤذنين من الرخام الأبيض ، وهى تقوم على عمد ، وبجانبها كرسى لقراءة آى الذكر الحكيم ، وتاريخ صنعه سنة ١٣٢٨ .

وفى الجانب البحرى خمسة أبواب : ثلاثة توصل الى المدافن واثنان يوصلان الى رحبتين بين المدافن . فالحجرة البحرية الشرقية بها ثلاثة قبور . ويلى تلك الحجرة من الجهة الغربية ، وبها باب يوصل بين الحجرتين الأولى والثانية التى بها قبران أحدهما دفنت فيه الأميرة خوشيار والدة اسماعيل وفى الثانى الخديو اسماعيل (ت ١٣١٢ هـ). ويليها الرحبة الثانية وبها باب يوصل الى الحجرة الثالثة المشتملة على ثلاثة قبور لثلاث سيدات ، هن زوجات اسماعيل . ويتصل بهذه الحجرة من الجهة الغربية حجرة أخرى فيها قبر السلطان حسين كامل

(ت ١٣٣٥ هـ) . وفى الجناح القبلى حجرتان ، احداهما وهى الشرقية بها مدافن للأسرة المالكة السابقة .

وفى الجهة القبلية الشرقية من المسجد مصلى ، ومن خلفها سبيل يعلوه مكتب لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، ويقابله من الجهة البحرية سبيل آخر يعلوه مكتب أيضا .

وهناك خلف المحراب ، حجرة صغيرة بها سلم يوصـــل لســطح المسجد .

مسجد المحمودية (اثر ١٣٥)

ولنخرج من مسجد الرفاعى المتكامل ، لنعود ثانية الى ميـــدان صلاح الدين ، ففى شماله تقوم ربوة مرتفعة ، أو شرف عال ، عرف قديما باسم « الصوة » . وعليها شيدت المساجد والدور الجليلة ، وسنبدأ الحديث عن مسجد المحمودية .

ينهض امام باب العزب بالقلعة المطل على الميدان ، وجنوب مدرسة قانى باى الرماح .

أنشأه محمود باشا أحد ولاة مصر فى العصر العثمانى سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧/٦٨) ويصعد اليه بدرج يوصل الى داخله . تخطيطه مربع ويتوسطه أربعة عمد كبيرة تحمل منورا كبيرا ، وحول العمد ترتفع أسقف المسجد . وفى جوار المحراب باب يوصل الى قبة ملحقة بالمسجد وبارزة عنه . مئذنته مستديرة (اسطوانية) الشكل . ولسقف المنور ازار كتب عليه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . قال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة أوسع منه . أمر بانشاء هذا المسجد المعمور من فيض ماله المبرور المقام العالى واسطة عقد اللالىء أمير الأمراء الكرام كبير

الكبراء الفخام فكان ابتداؤه وتاريخهُ بحكم منشئه الأول المبدى ٩٧٥ وانتهاؤه بمعاونة .. له من الرتب على أنه ليضيء برا للرضا للقوة .. لا غلبة وأول .. والاكرام المختص .. حضرة الأمير الباشا محمود راجيا من كرم الله القبول والرضا من فضله العفو مرتضى تقبل الله » .

واذا انتهينا من زيارة مسجد المحمودية ،اتجهنا الى مسجد قانى باى السيفى أمير أخور الذى يقع فى شماليه .

مسجد قانى باى (اثر ١٣٦)

أمر بانشاء هذا المسجد الجميل الأمير قانى باى الأمير آخور فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ، وقد شيد على طراز المدارس . له واجهتان احداهما شرقية وبها واجهة الايوان الشرقى والقبة ، والثانية جنوبية وبها المدخل الرئيسى والمئذنة ، فسبيل وكتاب . تعتبر قبته من النماذج المملوكية الرائعة ، وقد أعيد بناء المئذنة والسبيل ونقش على عتبة الباب الداخلى كتابة نصها : « أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله المقر الأشرف العالى المولوى السيفى قانى باى أمير آخور كبير أعزه الله تعالى فى ٩٨٨ » . كما كتب أيضا أعلى الأبواب الأربعة التى حول الصحن ما نصه : « أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى السيفى قايتباى أمير آخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره » .

وبعد اجتياز الباب الرئيسى ، سنعجب حقا بسقف الدركاة وازارها المقرنص ، ثم تتقدم الى الصحن المكشوف وفى الركن الجنوبى الشرقى باب يؤدى الى فسحة مغطاة بقبو مضلب ، تتوصل منها الى التربة التى تعلوها قبة مقرنصة الأركان ، وظهرها محلى بزخارف بارزة مورقة . وعلى يسار الباب الرئيسى المئذنة التى تعلو برأسين . وهذه المئذنة

هى أول ما شيد من نوعها فى القاهرة . وقد أعادت ادارة حفظ الآثار العربية بناء السبيل والكتاب اللذين نشاهدهما الآن بدلا عما تهدم .

آثار درب اللبان

نحن الآن فى منطقة درب اللبان وتزخر بعدة آثار جميلة :

دار الفنانين (اثر ٤٩٧)

كانت تعرف باسم ناظرها السيد على لبيب وهى واقعة خلف مسجد قانى باى فى حارة درب اللبان . أنشأها السيد عمر الملطيلى فى أواخر القرن ١٨ ، لها واجهة كبيرة حليت ببارزات محمولة على كوابيل وبها مشربيات ، ويشرف على الحوش الأول مقعد صغير ويعلو باب المقعد شباك من خشب الخرط الدقيق . ولهذه الدار حوشان . وقع اختيار الفنانين الأجانب والمصريين على هذه الدار فاستأجروا غرفها مراسم لهم ، وفيها تربى وتخرج جهابذة المصورين المصريين وما زالت الدار تزخر بصفوة منهم .

يقابلنا بعد دار الفنانين ، باب تكية تقى الدين البسطامى ، ويجاورها باب درب اللبان (أثر ٣٢٥) ويرجع بناؤها الى القرن الرابع عشر ، ويحتمل أنه كان لأحد الدور المملوكية التى كانت فى تلك المنطقة وهو باب جميل به تطعيم بالرخام ، وقد تنوعت عقوده ..

وتكية تقى الدين البسطامى : (٨٤٧ هـ / ١٤٤٣) ، بالقرب من دار الفنانين بدرب اللبان ، يقع بابها فى صدر الحارة ، كانت التكية مخصصة منذ القرن ١٣ لفقراء الأعجام ، ونالت رعاية الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ، وبابها الحالى يرجع الى عمارته لها فى القرن التاسع الهجرى .

مسجد ومدرسة جوهر اللالا (أثر ١٣٤)

وجوهر اللالا هذا كان أميرا فى خـدمة الأشرف برسباى قبل ولايته على مصر . وفى أثناء توليه الملك عهد اليه بعدة وظائف ، وقد توفى عام ٨٤٢ هـ (١٤٣٨) ودفن بمدرسته .

وهو مسجد صغير يشغل حوالى ١٨٧ مترا دون الميضأة . نصل من بابه الرئيسى المغشى بالنحاس الى دركاة.وربعة بصدرها صـفة فرشت بالرخام وسقفها مموه بالذهب والألوان . وعلى يمين الدركاة باب السبيل والكتاب ، والى اليسار باب يوصل الى طرقة مستطيلة بها مزيرة كان بها اسم المنشىء . وتنتهى الطرقة بباب الى اليسـار يوصل الى داخل المسجد المشيد على مثال المدارس وبه أربعة ايوانات القبلى والبحرى منها صغيران . والشرقى والغـربى كبيران . وقد فرشت الأرضيات بالرخام . ويتوسط الصحن شخشيخة . وبجـدار القبلة نوافذ جميلة من الجص .

وقد أعادت ادارة حفظ الآثار العربية الى هذا المسجد رونقـه بعد ما قامت به من الاصلاحات (١) .

والآن ، لنعد الى ميدان صلاح الدين مرة أخرى ، وذلك لكى نزور قلعة صلاح الدين سالكين سكة المحجر ..

---

(١) محمود أحمد : دليل موجز لأشـهر الآثار العربية ، ص ١٦٠ – ١٦١ . القاهرة ١٩٣٨ .



الفصل الثانى

قلعة صلاح الدين (الجبل) أثر ٥٥٥
(٥٧٢ ـ ٥٧٩ هـ / ١١٧٩ ـ ١١٨٧م)

مشيد القلعة

تعتبر قلعة صلاح الدين من أفخم القلاع الحربية التى شيدت فى القرون الوسيطة ، بناها السلطان الأمجد الناصر صلاح الدين الأيوبى، أشهر من عرفهم التاريخ الاسلامى ابان الحروب الصليبية . وأسوار هذه القلعة الشامخة مر بها كثير من أحداث تاريخ مصر خلال العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية حتى أيام محمد على . أحداث تباهى بأمثالها كثيرا من الشعوب الحية ، تؤلف ثبتا مجيدا فى معالم تاريخ العالم الاسلامى . مثلها فى ذلك قلعة حلب ، تلك التى نهض بها الأيوبيون فى سورية .

* * *

قدم صلاح الدين الأيوبى الى القاهرة فى عام ١١٦٩ ليخلصها من فوضى الفاطميين الذين عجزوا عن مقاومة الصليبيين عقب وصولهم الى قلب البلاد . فما لبث طويلا حتى تخلص من حكم هؤلاء الفواطم، واستتب له الحكم فى مصر وفلسطين وسورية أربعة وعشرين عاما ، لم يقض منها سوى ثمانية أعوام فى القاهرة . أما السنوات الأخرى فقد جاهد خلالها فى ساحات القتال بالشام ضد أعداء العروبة والاسلام .. خلف السلطان نور الدين محمود زنكى سلطانا على الشام وهزم الصليبيين فى معارك شتى ، فحرر القدس الشريف بعد محاربته ريتشارد المعروف بقلب الأسبد طوال عامين . ثم توفاه الله فى دمشق ، وهو فى الخامسة والخمسين (٥٨٩ هـ/ ٥ مارس ١١٩٣). ودفن فيها وسيفه الى جانبه . وبعد حوالى عامين ، نقل جثمانه الى ضريحه المجاور للمسجد الأموى .

ونحن هنا لا نؤرخ لهذه الشخصية الفذة ، فقد سبقنا فى كتابة سيرته العاطرة طائفة لا تحصى من أعلام المؤرخين المسلمين والغربيين. فصلاح الدين كردى الأصل ، عاش فى دمشق فى صحبة الشيوخ وعلماء الدين ، فنشأ نشأة دينية خالصة وكان وديع الخلق ، حلو اللسان ، قال عنه العلامة عبد اللطيف البغدادى لما حظى بمقابلته بالقدس : « فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا سهلا مجيبا . وأصحابه يتشبهون به يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) . وأول ليل حضرته وجدت مجلسا حافلا بأهل العلم يتذاكرون فى أصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة ويأخذ فى كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه فى ذلك ويأتى بكل معنى بديع » [1] .

وقد خلف صلاح الدين بصماته العميقة فى القاهرة ، أكثر من أى حاكم آخر . فلم يكن عمله مقصورا على بناء القلعة ، بل الحق أنه كان أول من جعل القاهرة قاعدة زاهرة لسلطانه العظيم ، ويرجع اليه الفضل فى توسيع القاهرة التى بناها الفواطم لتكون معقلا لسيادتهم وحكمهم . وهكذا لم يتبع صلاح الدين سياسة أسلافه ، فامتدت القاهرة وتوسعت الى الجنوب والشرق ، وشيد حولها سورا منيعا ، لكنه لم يعش طويلا حتى تتحقق آماله ، ثم دعم تلك الأسوار ببناء قلعة الجبل فى ذلك الموضع الذى كان فيه قبة عرفت بقبة الهواء بناها حاتم بن هرثمة والى مصر فى عام (١٩٥ هـ / ٨١١ م) . ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء كان كثيرا ما يقيم فيها ، فانها تشرف على قصره ، وعنى بها الأمير أبو الجيش خمارويه ابن طولون . ولما زالت دولة الطولونيين وخرب القصر والميدان كانت

---

(١) عبد اللطيف البغدادى فى مصر (حوالى عام ١٢٠٠ م) ، المجلد الجديدة ، القاهرة ص ١٠٠ .

قبة الهواء مما خرب ، ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد [1] .

سور القاهرة

كانت قلعة الجبل ذروة أعمال صلاح الدين الدفاعية عن القاهرة فقد أمر بأن يمد سور القاهرة الفاطمية الشمالى الى الغرب حتى يلتقى بميناء المقسى على النيل حيث يقوم اليوم مسجد أولاد عنان . ومده الى الشرق حتى يتصل بالسور الفاطمى الشمالى القديم . ثم شيد سورا جديدا وأمده من الشمال الى الجنوب فى الشرق ليلتقى بالقلعة وذلك خارج السور الفاطمى القديم . وهذا السور هو الذى يقع شرقى حى الدرب الأحمر فى مواجهة آكام الأنقاض التى أزيلت فى الأعوام الأخيرة . وفى جنوب قلعة الجبل ، امتد سور أيوبى يبدأ من القلعة ويتصل بباب القرافة (حيث كان يقوم سجن المنشية) الى الفسطاط مارا بجنوب مشهد السيدة نفيسة . وقد بقى ذلك الجزء من السور ويقدر طوله بحوالى خمسة كيلو مترات ونصف ، حتى شيد على جزئه الشمالى مجرى للمياه أقامها السلطان الناصر محمد ابن قلاوون . ويمكن القول بأن أحسن ما بقى من أسوار صلاح الدين حتى اليوم ، هو الجزء الذى ذكرناه ، ويضاف اليه ذلك الجزء الشمالى الشرقى الذى يؤلف ركن القاهرة الفاطمية عند برج الظفر المواجه لجبل المقطم . وكان هذا الجزء الشمالى الشرقى من السور مختبئا حتى عهد قريب تحت الأنقاض التى عرفت بآكام البرقية ..

أقدم صلاح الدين على تنفيذ بناء القلعة ، فأقام على عمارتها وزيره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى ، فشرع فى بنائها عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦) ، كما بنى سور القاهرة الذى زاده ، وقد اقتضاه ذلك هدم ما هنالك من المساجد وازالة القبور ، وتدمير بعض الأهرام الصغيرة

---

(١) الخطط المقريزية : جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

التى كانت بالجيزة ليستخدم حجارتها فى البناء . وظل العمل جاريا فيها حتى توفى صلاح الدين قبل أن يتم بناؤها .

ولدينا كتابة منقوشة فى لوحة فوق باب المدرج تشهد ببناء القلعة فى أيام صلاح الدين ، ونص هذه الكتابة ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه القلعة القاهرة المجاورة لمحروسة القاهرة بالعرمة (١) . التى جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجأ الى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محيى الدولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد خليل أمير المؤمنين ، على يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة » .

واستنادا الى شتى المصادر التاريخية ، يمكن القول بأن الجزء الأكبر من القلعة الأيوبية قد تم فى عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ . أما بئر يوسف (وسنتكلم عنها فيما بعد) فمن المحتمل أنها تمت فى عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ ، وهو العام الذى أسر فى غضونه صلاح الدين كثيرا من الفرنج ، استغلوا فى حفرها وبنائها . وكان حول السور الشرقى من القلعة خندق ولا يزال أثره ظاهرا .

ويؤيد ذلك ابن جبير الرحالة الأندلسى الذى قدم الى القاهرة فى أخريات عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م . وشاهد بنيان القلعة ، قال : « وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة ، يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين « مصر والقاهرة » . والمسخرون فى هذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومئونته العظيمة ، كنشر الرخام ، ونحت

---

(١) المقصود بالصوة وهى بقية النشز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة .

الصخور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور ، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا فى الصخر ، عجبا من العجائب الباقية الآثار : العلوج الأسارى من الروم ، وعددهم لا يحصى كثرة ، ولا سبيل أن يمتهن فى ذلك البنيان أحد سواهم » (١) .

ان قلعة صلاح الدين التى تشاهدها اليوم ، عمل معمارى معقد حقا ، تشتمل على ثلاث باحات رئيسية أو أقسام كبرى ، أولها وأقدمها، القسم الشمالى وأهم معالمه القديمة : الباب المدرج ، وهو ما زال قائما الى اليوم .

وثانيها : القسم الجنوبى وأهم ما يشتمل عليه اليوم جامع محمد على ، وجامع الناصر محمد بن قلاوون وبئر الحلزون .

وثالثها : القسم الأسفل الذى يدخل اليه بوساطة باب العزب وكان يعرف قديما بباب السلسلة ، أو بباب الاسطبل ، وسنتكلم عنه فى الصفحات التالية .

وللوصول الى القلعة ، نسير فى سكة المحجر حتى نصل الى الباب الجديد الذى شيده محمد على . وفى طريقنا اليه ، نمر بالقبة (أثر رقم ٣٦٠) التى أنشأها الملك الظاهر أبو سعيد عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م / ١٤٩٩ ، وهى قبة صغيرة حول رقبتها طراز من الجص نقشت عليه كتابة . وأمام القبة زاوية حسن الرومى (أثر ٢٥٨) ، أنشئت عام ٩٢٩ هـ — ١٥٢٢ ، ونلاحظ أنه علق على بابها قطعة من عمود أو ربما قطعة من ماسورة مدفع قديم :

تواصل سيرنا قليلا حتى نصل الى سكة الكومى الى يسارنا وهى تتصل بدرب اللبان ، فاذا دخلناها ، يقابلنا مسجد / مدرسة السلطان المؤيد وقد بناه ليكون بيمارستانا .

---

(١) رحلة ابن جبير فى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية . تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة عام ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ ، ص ٢٠ .

بيمارستان المؤيد (أثر ٢٥٧)

١٤١٨ - ١٤٢٠

كان يقع أصلا تجاه طبلخانة القلعة ، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق . وباب البيمارستان يقوم حيث كان باب المدرسة . أنشأه الملك المؤيد شيخ فى مدة أولها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨) ، وآخرها رجب سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠) ، ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان ، وعملت مصاريفه من أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويله . ولما توفى المؤيد (٨٢٤) تعطل المارستان قليلا ، ثم سكنه طائفة من العجم ، وصار منزلا للرسل الوافدين من البلاد الى السلطان ، ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذن وبواب وقومة ، وأقيمت به الجمعة فى ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٣) ، فاستمر جامعا تصرف مرتبات أرباب وطائفة من وقف الجامع المؤيدى .

نواصل السير حتى نصل الى قمة الطريق الموصلة الى الباب الجديد ، فتقابلنا دار المحفوظات المصرية (الجديدة) وقد أنشئت سنة ١٢٤٥ هـ — ١٨٢٩ م وأمامها قبة رجب الشيرازى (أثر رقم٤٧٦)، أنشأها الأمير برقوق عام ٧٨١ هـ — ١٣٧٩ م . برسم الشيخ حاجى رجب الشيرازى الحيدرى .

والى يسارنا ، يقع حى الخطابة أسفل القلعة وفى شمالها . وفيه بعض المبانى التاريخية ، ونذكر منها بميدان الجامع اليوسفى :

مسجد الأمير منجك اليوسفى (٧٥١ هـ — ١٣٤٩ م) ، أثر ١٣٨. أنشأه هذا الأمير فى أثناء وزارته بمصر فى عام ٧٥١ هـ ، وصنع فيه صهريجا يعرف به الى اليوم (١) ، وجعل فيه منبرا جميلا . وكان لهذا

---

(١) الخطط المقريزية : جـ ٢ ، ص ٣١٩ ، ط بولاق .

الأمير خان منجك ودارا فخمة برأس سويقة العزى (سوق السلاح) بقرب مدرسة السلطان حسن وقد مررنا بها . كما أن له آثارا عـدة بسورية . وقد سمى بعض المؤرخين هذا المسجد « خانقاه » . وعلى قبره الكتابة الآتية : « بسمله .. هذا قبر الأشرف العالى المولوى السيفى منجك كافل المملكة الشريفة الاسلامية . توفى يوم الخميس بعد العصر تاسع وعشرين شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبعمائة ، ودفن بكرة يوم الجمعة سلخ شهر ذى الحجة غفر الله له ولمن ترحم عليه » .

وبقربه قبـة يونس الدوادار (١٣٨٢) . أثر ١٣٩ . بميـدان الجامع اليوسفى .

وبالميدان المذكور حوض وسبيل عبد الرحمن كتخدا .. (أثر٢٦٠).

وبشارع الحطابة مسجد خانقاه نظام الدين (٧٥٧هـ ـــ١٣٥٦م). أثر ١٤٠ .

وبشارع باب الوداع سبيل الأمير شيخو (٧٥٥ هـ ـــ ١٣٥٤). أثر ١٤٤ .

نعود ثانية الى الطريق العامة ، وقبل أن نصل الى الباب الجديد للقلعة ، نشاهد على اليمين دار المحفوظات القديمة (الدفترخانة) ، ويلفت مدخلها الكبير نظرنا ، اذ يتسـم بالطابع الحـربى ؛ طابع التحصينات فى العصور الوسطى . وقد أنشئت هـذه الدار لحفظ وصيانة أوراق الدولة ومستنداتها .

وهنا نواجه الباب الجديد للقلعة بمصاريعه المصفحة ، وهـذا الباب من انشاء الوالى محمد على فى سـنة ١٢٤٠ / ١٢٤٢ هـ ـــ ١٨٢٤/١٨٢٦ ، وقد كتب على مدخله « يا مفتح الأبواب افتح لنـا خير باب » . فاذا سرنا قليلا ، قابلنا الى اليسار ، باب المدرج .

وباب المدرج هو باب القلعة القديم الذى أنشأه صلاح الدين فى سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) وقد ورد فى الخطط المقريزية (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ، ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على باشا فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ — ١٨٢٧) بالقرب من الباب القديم المذكور . والباب الحالى يعرف بالباب الجديد أو الباب العمومى أو الباب البحرى .

وفى أيام الحملة الفرنسية (١٧٩٩) ، كان الباب المذكور يعرف فى ذلك الوقت بباب مستحفظان وهم طائفة من عساكر الجيش العامل وظيفتهم المحافظة على البلاد والدفاع عنها ، وكان هذا الباب خاصا بهم . وكان يوجد باب آخر يقع غربى باب المدرج يسمى باب الانكشارية وهم طائفة من العساكر التركية أرسلتهم الدولة العثمانية للمحافظة على مصر . وكان هذا الباب خاصا بهم وكان يوجد خلف باب الانكشارية من الداخل باب آخر يسمى الباب الشرك لأنه كان شركة بين المستحفظان والانكشارية يمرون منه على السواء .

وفى ولاية محمد على باشا على مصر جدد أكثر أبواب القلعة وأسوارها . ومن ذلك أنه جدد باب الانكشارية فى سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) وهذا الباب لا يزال موجودا ولكنه مسدود البناء مكانه غربى الباب الجديد البحرى تجاه باب الدفترخانة القديمة . ولما تبين له أن باب المدرج وباب الانكشارية لا يصلحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل أنشأ فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) باب القلعة الجديد الحالى ، ومهد له طريقا منحدرة لتسهيل الصعود الى القلعة والنزول منها تعرف اليوم بشارع الباب الجديد . وهذا الباب يجاوره من الشرق باب المدرج القديم ومن الغرب باب الانكشارية . وقد

بطل استعمال هذين البابين من ذلك الوقت اكتفاء بالباب الحالى . ثم جدد أيضا الباب الشرك وهو الذى يلى الباب الجديد من الداخل وهو بذاته باب السر الذى سماه ابن اياس (ج ٤ بدائع الزهور طبعة استانبول) باب السبع حدرات لأن الطريق الذى بينه وبين باب العزب أرضها منحدرة ، وكان بها قديما سبع حدرات يفصل بين الحدرة والأخرى درجة من الحجر . وهذا الباب يعرف اليوم بالبوابة الوسطانية ويدخل منها الى الحوش الذى فيه جامع محمد على وجامع الناصر محمد بن قلاوون والبوابة الداخلية بالقلعة . وباب السر المذكور كان لأكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب السر ونحوهما ويتوصل اليه من الصوة وهى بقية النشز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة وكان يقع مقابل الايوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وكان يغلق ولا يفتح الا لمن يستحق الدخول والخروج منه ، ثم يغلق . وهذا الباب هو الذى يعرف اليوم بالباب الوسطانى . (محمد بك رمزى بالنجوم الزاهرة — جـ ٩/٨) .

البئر

ومن أعمال صلاح الدين البئر ، وهذه البئر من العجائب التى استنبطها بهاء الدين قراقوش — وزير صلاح الدين وقائد جيشه — تحدث عنها ابن عبد الظاهر فقال :

« هذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها فى مجاز ، وجميع ذلك حجر متحوت وليس فيه بناء وقيل ان أرضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب . قيل ان هذه البئر لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة فى مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها . وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى

كتابه عجائب البنيان أنه ينزل الى هذه البئر بنحو ثلثمائة درجة »[1] .
ويقال ان هذه البئر كانت متصلة بالنيل بوساطة سرداب تنفذ منه مياه النيل الى القلعة وأنه حدث فى عصر الولاة العثمـانيين أن فريقا من الثوار نفذوا الى داخل القلعة عن طريق هذا السرداب .

مصادر مياه القلعه

كانت مياه النيل العذبة تصل الى القلعة فى عهد صـلاح الدين وخلفائه من الأيوبيين بوساطة قناة على ظهر سور صلاح الدين الممتد من الفسطاط الى القلعة وما زالت بعض بقاياه قائمة الى اليوم .

فلما كثرت مبانيها واتسعت بساكنيها ، أنشأ الناصر محمـد بن قلاوون فى سنة ٧١٠ ـــ ٧١٢هـ/١٣١٢ م أربع سواق على النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة . ولما أتم الناصر محمد هذا العمل غرس الميدان تحت القلعة بالأشجار ومـلأ الفساقى أراد تقوية المياه فى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ، فأمر بعمل سواق عند ساحل النيل ، اتصلت بها قناطر امتدت واتصلت بالقناطر القديمة (صلاح الدين) كى تتجمع المياه فى مستودعين وتكون قوية تغذى مرافق القلعة والميدان معا .

وقد عنى بهذه القناطر حكام مصر باعتبارها جزءا هاما مكملا للقلعة ، فأصلحها الملك الظاهر برقوق ، كما أصلحها السلطان قايتباى سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ ، وما زال اسمه منقوشا على قنطـرة منها بالركن القبلى الشرقى المتجه الى الفسطاط عند قرافة السيدة نفيسة.

وفى عام ٩١٢ هـ (١٥٠٦) ، أمر السلطان قانصوه الغورى بابطال المجرى القديم عند درب الخولى ، وشرع فى بناء مأخذ ذى ست سواق

---

(١) الخطط المقريزية : جـ ٢ ص ٢٠٣ .

على النيل عند فم الخليج ، ترفع الماء الى أعلاها وتصب فى أحواض أحكم جريان الماء فيها واندفاعها الى مجراة على ظهر القناطر التى أنشأها والتى امتدت حتى تلاقت بالقرب من مشهد السيدة نفيسة ببقايا قناطر الناصر محمد ، ثم بسور صلاح الدين القديم ، ونقش اسمه عليها . وقد انتهت الأعمال فيها سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨) ، واحتفل بادارتها وجريان الماء فيها الى أن وصل الى الميدان تحت القلعة ، كما صعد الى القلعة بوساطة سواق أخرى تملأ صهاريجها ، وظلت تؤدى عملها الى القرن التاسع عشر [1] .

أعمال صلاح الدين ، والعادل فى القلعة

يعتبر كتاب الأستاذ كريزويل « التاريخ المعمارى للقلعة » الذى نشره معهد الآثار الفرنسية بالقاهرة أظهر المراجع المعمارية وأوثقها فى تاريخ عمارة القلعة وننقل عنه ملخصا موجزا لأسوار القلعة وأبراجها وأبوابها :

يعزى الى صلاح الدين الأيوبى بناء حائط السور بأبراجه النصف الدائرية . ويبدأ هذا السور من الجانب الشرقى لبرج المقطم ويمتد نحو الجنوب والشرق والشمال حتى ينعطف ويقف لدى المكان الذى يشغله الآن المتحف الحربى . وينسب اليه أيضا البابان الخلفيان والجزء الداخلى من باب القرافة وباب المدرج وكذلك حائط السور الذى يمتد جنوبيه بما فى ذلك الجزء الخلفى من البرج النصف الدائرى الكائن بين الباب الأخير والباب الأوسط .

وبعبارة أخرى فان صلاح الدين بنى هذا السور كاملا وقويا على قدر ما سمحت له الظروف المحيطة به . اذ أنه استدعى لفلسطين فى

---

(١) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وماحوله ، المكتبة الثقافية رقم ٥٦ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

الحادى عشر من شهر مايو سـنة ١١٨٢ فى ظروف عصيبة خـلال الحروب الصليبية . فغادر القاهرة وسورها وخاض غمار حـروب طاحنة واشترك فى وقائع متوالية خرج منها منصورا اذ هزم الصليبيين وانتزع منهم بيت المقدس فى شعبان سنة ٨٥٣ هـ ـــ أكتوبر ١١٨٧ م.

ولما خلفه أخوه الملك العادل كانت الأمور قد استقرت قليـلا ووقفت الحروب مؤقتا ، فانتهز العادل هذه الفرصة واستطاع بما لديه من الثروة وماله من النفـوذ ، وبمـا تحت تصرفه من موارد الممتلكات الأيوبية أن يعيد تحصين المواقع الحربية الهامة فى دولته الوسيعة . وما تزال قلاع حلب ودمشق وبصرى والقاهرة وأطـلال حصن جبل طابور شاهدة على جهوده الكبيرة ونشاطه فى هذا السبيل.

وينسب الى الملك العادل الأبراج الثلاثة الكبيرة الكائنة بالجانب القبلى وهى : برج الصفة وبرج قرقبلان وبرج العلوة ، والزيادة التى أضيفت لباب القرافة والجزء الخارجى ببرج الرملة وبرج الحـداد والجزء الداخلى ببرج الصحراء والبرج الكبير الذى لم يتبق منـه سوى قاعدته . والبرجان الكبيران المربعان فى الركن الشمالى الغربى من السور . وقد تمت أعمال العادل سنة (٦٠٤هـــ١٢٠٦/١٢٠٧م)، ثم استأنفها ابنـه الملك الكامل وكان أول من سكن القلعـة من الأيوبيين .

وقد ذكر عماد الدين الذى كان موضع ثقة صلاح الدين والذى كانت جميع الوثائق فى متناول يده أن « محيط القلعـة كان ٣٢١٠ أذرعة هاشمية » (١) .

---

(١) الذراع الهاشمى يساوى ٦٥ر٦ سنتيمترا .

القلعة فى عهد السلطان الكامل
(٦٠٤ - ٦٣٥ هـ / ١٢٠٧ - ١٢٣٨م)

قال عبد الظاهر : (١) « والملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها (القلعة) وعمارة أبراجها ، والبرج الأحمر وغيره فكملت فى سنة٦٠٤هـ (١٢٠٨) ، وتحول اليها من دار الوزارة (فى القاهرة الفاطمية) وقد بنى الكامل فى القلعة ايوانا وبابا للقصور السلطانية سماه باب السر، وبابا يصل حصن القلعة أو الجزء الشمالى منها ، وهو بالجزء الجنوبى وهو المدينة الملكية ويسمى هـذا الباب باب القـلة ، وبنى كذلك الاصطبلات السلطانية وبعض الأبراج وأبراج الحمام وخزانة الكتب ولعله شيد كذلك مسجدا ومقرا للوزير يسمى قاعة الصاحب . وفى القرن الخامس عشر (عصر المقريزى) لم يكن باقيا من هذه المنشآت الا الشىء القليل » .

ومع أن السلطان الكامل هو الذى نقل لأول مرة مقر الحكم والادارة الى القلعة ، فان سيادة العنصر العسكرى فى البلاد لم تتم فى عهده وانما فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى عظم نفوذ المماليك فى عهده وشيد لهم قلعة الروضة فسموا المماليك البحرية ، ولكنهم رجعوا الى قلعة الجبل عنـدما استقرت فى أيديهم مقاليـد الحكم . ولم تلبث العمائر أن قامت على أنقاض المقابر التى كانت تفصل هذه القلعة عن القاهرة حتى اتصلتا .

ومن منشآت السلطان الكامل فى القلعـة الاسـطبل السلطانى الذى كان ملحقا بالقصر ولم يذكر أحـد المؤرخين المسلمين تاريخ انشائه ، ونراهم متفقين على ذكره بين منشآت عهد السلطان بيبرس . وندهش أن يفوت عليهم ذكره ، وعلى الأخص اذا أدركنا أن سلاطين

---

(١) الخطط المقريزية : جـ ٢ ص ٢٧٤ .

آل أيوب كانوا من رجال الجهاد والحروب ولا يغيب عن نظائرهم أمر الخيول والعناية بها . مع أن المقريزى لم يفته أن يذكر أن الملك الكامل تحول من دار الوزارة الى القلعة ونقل سوق الخيل والجمال والحمير الى الرميلة تحت القلعة .

ومن أعمال الكامل أيضا الميدان السلطانى تحت القلعة . ومن منشآته قاعة الصاحب — أى قاعة الوزير — وكان أول من شغلها صفى الدين بن شكر وزير الكامل .

وقد كان موجودا فى أيام السلطان بيبرس جامع تلقى فيه الخطبة، ولا يبعد أن يكون الكامل هو مشيده . وشيد مكان هذا الجامع جامع السلطان الناصر بن قلاوون وهو قائم اليوم .

ابراج الحمام

ومنشىء أبراج الحمام الملك الكامل ، ولقد ذكر ابن عبد الظاهر فى كتابه « تمايم الحمايم » أن أبراج الحمام قد بلغ عدتها فى عام ٦٨٧ ألفا وتسعمائة طائر . وكان يستخدم الحمام فى نقل الرسائل . ومما يذكر فى هذا السياق أنه كانت هناك مراكز حمام فى سائر نواحى المملكة فى مصر والشام فيما بين أسوان والفرات.

خزانة الكتب

وهذا عمل آخر يعزى الى الملك الكامل — خزانة الكتب — التى دمرها حريق عام (٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م) وكانت فى الأصل تؤلف مكتبة القاضى الفاضل . ثم آلت الى ابنه الأشرف أحمد لما أمر الكامل بوضع اليد على داره ونقل مكتبته الى القلعة . وقد كان ذلك فى يوم الأحد الموافق لليوم الخامس من جمادى أول عام ٦٢٦هـ (١٢٢٩ م) . ثم نقلت المجلدات النفيسة فى اليوم السادس والعشرين.

وكانت تتألف من ثمانيــة وستين ألف مجلد . وبعــد أيام حملت الخزائن الخشبية فى تسعة وأربعين حملا . وقيل انه كان من جملة الكتب المستولى عليها كتاب الأتابك والعصور لأبى العــلاء المعرى فى ستين مجلدا . وقد جمعها القاضى الفاضل من مكتبات الفاطميين .

ومن ثم نلخص أعمال الملك الكامل فى قلعة الجبل كما يلى :

١ ـــ الايوان .

٢ ـــ باب السر المؤدى الى القصور السلطانية .

٣ ـــ باب يصل بين قلعة الجبل (المدينة العسكرية) ، والقلعــة (المدينة السلطانية) واسمه باب القلة .

٤ ـــ الاسطبلات السلطانية .

٥ ـــ الأبــراج .

٦ ـــ أبراج الحمام .

٧ ـــ خزانة الكتب .

٨ ـــ قاعة الصاحب (الوزير) .

٩ ـــ الجــامع .

ونلاحظ أن المقــريزى لم يدون آثار الكامل فى الخطط فخلت منها ، فلم يرجع الى مصنفات السابقين من المؤرخين وينقلها عنهم .

القاعة الصالحية

عقب وفاة الملك الكامل (١٢٣٨ م) الى انتهــاء حكم الأيوبيين فى مصر (١٢٥٠ م) لم يشيد أحد من سلاطين هذه الأسرة فى القلعة ما يستأهل التنويه ، ونكتفى بذكر القاعة الصالحية التى أمر بانشائها

الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ ـــ ١٢٤٩ م) ، وظلت سكن الملوك الى أن احترقت فى ٦ ذى الحجة عام (٦٨٤ هـ ـــ ١٢٨٥ م) .

واذا نحن اعتبرنا الملك المعز نجم الدين أيبك من أسرة الأيوبيين لأنه كان الزوج الثانى للملكة شجرة الدر لوجدناه بعد أن استقر بالقلعة قد أهمل ايوان الكامل واتخذ المدرسة الصالحية مقرا للحكم والنظر فى الشكاوى .

قلعة الجبل فى أيام الظاهر بيبرس
(٦٥٩ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م)

ذكر المؤرخ أبو المحاسن تغرى بردى فى مؤلفه «النجوم الزاهرة» ملخصا عن أعمال بيبرس فى القلعة [١] :

« عمر بقلعة الجبل دار الذهب وبرحبة الجبارج [٢] قبة عظيمة محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام الملون وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على هيئتهم ، وعمر بالقلعة أيضا طبقتين مطليتين على رحبة الجامع [٣] ، وأنشأ برج الزاوية [٤] المجاورة لباب القلعة [٥] وأخرج منه رواشن وبنى عليه قبة وزخرف سقفها ، وأنشأ جواره طباقا لمماليكه أيضا . وأنشأ تجاه برجيه بباب القلعة دارا كبيرة لولده

---

(١) أبو المحاسن : (النجوم الزاهرة) جـ ٧ ص ١٩٠ .

(٢) الجبارج : الجبرج بالضم من طير الماء جمعه جبارج وجباريج .

(٣) الجامع الذى كان موجودا بالقلعة فى ذلك اهمل وقد هدمه الملك الناصر بن قلاوون وادخله فى جامعه الذى انشاه عام ٧١٨ هـ ـ وهذا الجامع لايزال موجودا .

(٤) هذا البرج لايزال موجودا فى الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحرى للقلعة ولما شيد محمد على سورها الحالى أصبح البرج فى داخله ويعلوه الآن الجناح الغربى للمتحف الحربى .

(٥) المقصود هنا باب المدرج الذى لايزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذى بينه وبين حوش القلعة من جراء وجود الباب الجديد الذى انشأه محمد على بجوار الباب المدرج .

اليوم الى يمين الداخل الى القلعة ويشغلها ميدان سارية العلم الوطنى الذى رفع يوم الجمعة ١٢ رمضان ١٣٦٥ هـ (٩ أغسطس ١٩٤٦) بمناسبة جلاء الانجليز عن القلعة .

وقد بنيت هذه الدار (دار العدل) فى سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢/١٢٦٣)، وصار السلطان يجلس بها لعرض العساكر فى يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وقد بدأ بالحضور فى سنة (٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م) .

وما برحت دار العدل باقية الى أن استحدث السلطان الملك المنصور قلاوون الايوان فهجرت ، وظلت مهجورة الى أن هدمها قلاوون فى عام ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) وأقام على بقاياها الطبلخانة (١) .

لعبت القلعة على عهد بيبرس دورا مشهودا ، لأحداث كبرى فى التاريخ المصرى ، تأتى فى طليعتها التجاء الأمير أبو القاسم أحمد الى مصر بعد أن استحوذ التتار على بغداد ، فلما سمع بسلطنة الملك الظاهر بيبرس وفد عليه مع جماعة من بنى مهارش ، فوصلوا الى القاهرة فى الثامن من رجب عام ٦٥٩ هـ (١٢٦١) . وهنا ركب السلطان بيبرس للقائه وبصحبته الوزير بهاء الدين بن حنا ، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، والشهود والرؤساء والقراء والمؤذنون ، فضلا عن اليهود بالتوراة ، والنصارى بالانجيل ، فى يوم الخميس ، فدخل من باب النصر ، وشق القاهرة . وكان دخوله يوما مشهودا . وحين حل يوم الاثنين الثالث عشر من رجب ، جلس السلطان الملك الظاهر والخليفة بالايوان وأعيان الدولة بأجمعهم ، وقرىء نسب الخليفة ، وبويع بالخلافة ، بعد أن تقضت ثلاث سنوات ونصف السنة والناس بلا خليفة .

---

(١) الخطط المقريزية جـ ٢ ص ٢٣٥ .

الملك السعيد . وكان فى موضعها حفير فعقد عليه ستة عشر عقدا . لأنه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية ».

فما هى دار الذهب هـذه ؟ وهـل لها علاقة بالقاعة الظـاهرية والدار الجديدة اللتين ورد ذكرهما فى كتاب ابن عبد الظاهر كاتب بيبرس .

يقول هذا المؤرخ أنه فى عام ٦٦٤ هـ (١٣٦٥/١٣٦٦) نجزت عمارة القاعة الظاهرية المجاورة لباب سر قلعة الجبل المحروسـة ، المتولى عمارتها الأمـير عز الدين أيبـك الفخرى ، وهى قاعة عظيمة ، وقد افتن فى عمارتها وزخرفتها ، حتى كادت تبلغ الغاية أو النهاية . ولما نجزت جلس بها السلطان ومد سماطا ، وخلع على عز الدين الفخرى مشيدها ، وللصاحب محيى الدين (ابن عبد الظاهر) قصيدة فى هذه المناسبة .

وذكر المقريزى عن الدار الجـديدة أن الملك الظـاهر بيبرس عمرها فى عام (٦٦٤ هـ ـــ ١٢٦٦ م) عند باب سر القلعة وعمل بها فى جمادى الأول منها دعوة للأمراء عند فراغها (١) .

ويرى المستشرق كازانوفا أن دار الذهب والقاعة الظاهرية والدار الجديدة أسماء على مسمى واحد ، ونرجح صحة هذا الرأى .

وهناك برج أمر بتشييده الظاهر بيبرس فى الزاوية المجاورة لباب القلة . وهذه القلة التى عرف بها الباب الذى تسمى بها ، كانت قائمة وشيدها الظاهر ثم هدمها الملك المنصور قلاوون ، ثم جدد باب القلة على ما كان عليه فى أيام المقريزى (القرن ١٥) .

ونتنقل بعد ذلك الى دار العدل القديمة التى بناها بيبرس ومكانها

---

(١) الخطط المقريزية : ص ٢٢٥ جـ .

باب الدرفيل

وقبيل ختام الحديث عن القلعة فى عهد بيبرس ، نذكر شيئا عن باب سارية أو المدرج الذى أصبح على أيامه يتسمى باسم الدرفيل. وهو اسم لأحـد قادة جيوش بيبرس ، وهو الأمـير حسام الدين لاشين الايدمرى ، وكان يشغل منصب الدوادار وقد وافته المنية فى عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٣/١٢٧٤ م) وهناك رأى آخـر يقول بأن باب الدرفيل هو باب آخر لا يتصل بباب سارية أو المدرج .

القلعة فى أيام السلطان المنصور قلاوون
(٦٧٩ هـ / ١٢٧٩ م)

كان أول ما شيده قلاوون فى القلعة ــ القبة ــ التى أقامهـا فى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) .

وقد أورد المقريزى فى الخطط أن قبة قلاوون هذه شيدت على أنقاض قبة بيبرس وقد هـدمت الأولى فى يوم الأحـد ١٠ رجب عام ٦٨٥ ، وانتهى العمـل فى الثانية فى شوال من العـام المذكور . ولا ندرى موضع هذه القبة بالضبط .

والى قلاوون يعزى بناء « دار النيابة » فى عام ٦٨٧ هـ/١٢٨٨ م. وقد قطنها الأمير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة . ومما يذكر أن النواب كانوا يجلسون بشباكها .

وقد أنشأ قلاوون أشتاتا من الأبنية لسكن مماليكه بالقلعـة ، كما هيأ برجا على مقربة من باب السر .

وقبل أن نخلف منشآت قلاوون ، نشير الى الحريق الهائل الذى شب فى عام ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ودمر قاعة الصالحية . وفى أيام خلفه (ابنه الخليل ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) اندلعت حريق أخرى .

وعمر الخليل بن قلاوون برج الرفوف ويقول المقريزى عنه أنه قد جعله عاليا يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها . وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها . وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة (٧١٢ هـ/١٣١٢ م) .

القلعة فى أيام الناصر محمد بن قلاوون

هو بناء دولة المماليك البحرية ، تنطق أعماله بقوة شخصيته فى قيادة الجيوش وادارة الحكومة ، وتنظيم الملك . خلع عن العرش مرتين ثم عاد اليه مرة ثالثة فحكم من عام ٧٠٩ الى عام ٧٤٦ هـ . وجلس أبناؤه العـــديدون على عرش مصر ، كل فى دوره ، وكان قوامهم تسعة ، تتابعوا على حكم وادى النيل من عام ٧٤١ هـ الى عام ٧٦٢ هـ (١٣٤٠—١٣٦١) .

ويعتبر الناصر محمد مكملا لأعمال صلاح الدين وبيبرس وقلاوون، هزم جيوش الصليبيين والمغول ، وبالرغم من جهاده طوال حيـــاته المديدة ، فقد خلد اسمه بما شيده من القناطر ، وما حفره من القنوات، وما بناه من القصور والمساجد . فعمر القاهرة خير تعمير ، وامتدت رقعتها .

وفى عصره انتعش الفن الاسلامى ، وازدهرت العمائر ، وانتشر فى مصر صنع الطرائف . بل ويلاحظ هواة الفنون الاســلامية أن غالبية معروضات المتاحف الفنيـــة فى أوربا وأمـــيركا والشرق من مخلفات عصر الناصر محمد وأمراء دولته وكبار رجالاته ..

ولا مرية فى أن العصر الذهبى الثانى للقلعة هو عصر السلطان الناصر محمد . أما أول تلك العصور فهى أيام بيبرس الكبير .

ومنشآت الناصر محمد فى القلعــة تكلم عنها المؤرخ المستشرق كازانوفا فى « تاريخ القلعة » فقسمها الى ثلاثة أقسام :

أولها : المنشآت التى ما زالت باقية الى اليوم .

ثانيها : المنشآت التى كانت باقية الى أيام الحملة الفرنسية ووصفت فى كتب علمائها .

ثالثها : المنشــآت التى ذكــر وصــفها فى كتاب شـــهاب الدين والقلقشندى والمقريزى .

وأهم منشآت القسم الأول : المسجد (أثر رقم ١٤٣) .

مسجد الناصر بن قلاوون

بدأ العمل فيه عام ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) فى موضع كان يشغله جامع آخــر ، فهــدمه السلطان كما هــدم المطبخ والحوائجخانة والفراشخانة . ثم تراءى له توسيعه فى عام ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) . ولما انتهى العمل جلس فيه السلطان واستدعى جميع مؤذنى القاهرة ومصر وجل القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وأنصت الى آذانهم وخطابتهم وقرائهم فرتب عشرين منهم ، وجعل عليه أنفاقا كافية .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، كان أرضيته مفروشة بالرخام ، وسقوفه مبطنة بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هى والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصــنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته (١) وكانت بالصحن ميضأة .

وقد عنى به وبزخارفه اذ كان بمثابة مسجد القصر الخاص ، وله

---

(١) الخطط : جـ ٣ ص ٣٤٤ — ٣٤٥

بابان أحدهما بالواجهة البحرية المواجهة لباب القلة على يساره منارة، والآخر بالواجهة الغربية وعلى يمينه منارة أخرى .

وأكبر أروقة الجامع (ايواناته) الرواق الشرقى ، اذ يتكون من أربعة أروقة تتوسطها قبة كبيرة حملت على عشرة عمد ضخمة من الجرانيت ، ولهذه القبة طراز خشبى به آيات قرآنية يعلوه مقرنص خشبى تعلوه قاعدة أخرى بها شبابيك جصية . وقد هدمت هذه القبة ثم جددها السلطان قايتباى سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٧ م) كما عمل للجامع منبرا رخاميا ثم هدمت هذه القبة أيضا وجددتها أخيرا ادارة حفظ الآثار العربية [1] .

وهذا الجامع وان كانت تسوده البساطة من الخارج ، فلا مقرنصات ولا زخارف ولا كتابات الا أنه من الداخل كان غنيا بشتى الصناعات كما تدل على ذلك بقاياه ، فقد كسيت الجدران الى ارتفاع نحو خمسة أمتار بوزرة رخامية دقيقة طعمت بالصدف ، وكان محرابه مكسوا بالرخام المحفور به زخارف دقيقة .

وقد قرأ كازانوفا المستشرق على لوحة رخامية مستطيلة كانت فوق باب الجامع الشمالى السطرين الآتيين :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا الجامع المبارك
السعيد سيدنا ومولانا السلطان الملك ا ... »

كما قرأ على لوحة الباب الغربى :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا الجامع المبارك
السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك

---

(١) حسن عبد الوهاب : مجلة العمارة ـ الجزءان ٧ و ٨ عام ١٩٤١ ـ ص٢٩٤ـ ٢٩٥ .

الناصر ناصر الدنيـــا والدين محمد بن مولانا السلطان
الشهيد قلاوون الصالحى فى شهور ســنة ثمانية عشرة
وسبع مائة من الهجرة النبوية » .

وقرأ أيضا طائفة من الآيات القرآنية على الطراز الداخلى تحت القبة .. وعلى المئذنة كتابة تحتوى على آية الكرسى (١) .

البرج

على أحد أبراج القلعة ، وعلى ارتفاع كبير من الجدار ، تقــرأ كتابة واضحة نصها كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا البرج المبارك الســعيد مولانا وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازى فى سبيل الله الحاج الى بيت الله وقبر رسول الله ناصر الدنيا والدين محمـــد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور بدؤه فى جمادى الأولى .

والفراغ .. ثلاث (٢) .

ويرجح المؤرخ كازانوفا أن يكون بناء هذا البرج قد تم حوالى ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) ، وخصوصا اذا كان هذا البرج هو الذى عناه لما قال أن محمد بن قلاوون هدم الرفرف الذى شيده أخــوه خليل عام ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) لكى يجدد بناءه ، وعمل بجواره برجا على مقربة من الاصطبل نقل اليه المماليك .

وهذا الترجيح يكون أقرب الى الصواب اذا علمنا أن أول شهر جمادى الأولى فى النص المذكور يوافق أول أيام عام ٧١٣ . واذا أضفنا

---

(١) راجع خارطة القاهرة المرسومة عام ١٧٩٨ (الحملة الفرنسية) بالقرب من الرقم ٨٤ .

(٢) الكتابة هشمت وغير واضحة .

الى هذا أنه فيما بين عامى ٧١٢ و ٧١٥ هـ تم لابن قلاوون تشييد أكثر عمائر القلعة أو تجديدها كالرفرف والايوان والميدان ومجارى المياه وفى ذلك يقول المقريزى فى كتاب الملوك عند الحديث عن أعمال السلطان فى هذا التاريخ :

« وأكثر من العمائر وولى آقسنقر أمير آخور شاد العمائر وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية وأفرد للعمائر ديوانا بلغ مصروفه فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم الى ثمانية آلاف . وهى أول ما كان يصرف فى اليوم الواحد .

القسم الثانى من عمائر الناصر محمد بن قلاوون

الايوان

لا ريب أن الايوان كان أظهر عمائر محمد بن قلاوون فى القلعة ، وقد شيد محمد على باشا على أنقاضه جامعه الكبير (١) . وعرف بايوان يوسف مدة طويلة ، ولذلك نسبه البعض الى صلاح الدين خطأ . وخير وصف لهذا الايوان ورد فى الخطط كما يلى (٢) :

« الايوان المعروف بدار العدل . أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى النجمى ، ثم جدده ابنه السلطان الملك الأشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به ، فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك ، أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه (الآن) وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا

---

(١) أما الرحبة التى كانت قبالة الايوان فمكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية لجامع محمد على .

(٢) الخطط المقريزية : جـ ٢ ص ٢٠٦ .

عظيمة نقلها اليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب فى صدره سرير الملك وعمله من العاج والأبنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان بابا سريا من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بديعة ، وله منه باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتحه حتى ينظر منه ومن تخاريم الحديد بقبة العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس ، فاستمر الأمر على ذلك . وكان أولا دون ما هو (اليوم) فوسع فى قبته وزاد فى ارتفاعه وجعل قدامه دركاه كبيرة فجاء من أعظم المبانى المملوكية [1] .

وقد ذكر ابن اياس فى كتابه — تاريخ مصر — « أنه فى يوم السبت سادس عشر محرم عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ م) سقطت القبة العظيمة التى كانت على الايوان . سقطت باكر النهار وهذه القبة من انشاء محمد بن قلاوون . فلما سقطت قال الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب . وهذه القبة لها نحو مائتى سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها رصاص . وكانت مغلفة بقيشانى أخضر ، ولم يعمر فى مصر أكبر منها وكانت من نوادر الزمان .

وورد ذكر الايوان فى كتاب رحلة M. Monconys الذى زار مصر وشاهد الايوان الكبير فى فبراير عام ١٦٤٧ م (١٠٥٦ هـ) . ووصفه أيضا الرحالة ماييه وريتشارد پوكوك (١٧٤٠ م) ونيبوهر الدانمركى (١٧٧٤) وأخيرا علماء الموسوعة الفرنسية (وصف مصر) .

القصر الأبلق

نقرأ وصف هذا القصر فى الخطط [1] قبل اندثاره . وكان قائما

(١) الخطط المقريزية : جـ ٢ ص ٢٠٠ وجـ ٣ ، ص ٢٤٠ — ٢٤٢ .

فى الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة الى الساحة التى ينهض بها جامع «محمد على» وكان يشغله الى أوائل عام ١٩٤٧ السجن الحربى للجيش البريطانى ومساكن المسجونين . وتتبعه حديقة تطل على القاهرة هى اليوم ساحة العلم الوطنى .

ويجمل بنا أن نرجع الى الخطط لنقرأ ما أورده المقريزى عن هذا القصر الذى قيل انه انتهى بناؤه فى مدة استطالت الى عشرة شهور .

« كان يشرف هذا القصر على الاسطبل الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) وانتهت عمارته فى السنة التالية وأنشأ بجواره جنينة . ولما كمل عمل فيه سماطا حضره الأمراء وأهل الدولة ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمى الألوف ألف دينار . ومن مقدمى الحلقة خمسمائة درهم ، ولكل من أمراء الطبلخـانة عشرة آلاف درهم فضـة عنها خمسمائة دينار فبلغت النفقة على هذا القصر خمسـمائة ألف ألف درهم . وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ما عدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على تخت الملك المنصوب بصدر ايوان هـذا القصر المطل على الاصطبل وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف . ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار ، فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانيـة ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى أخريات النهار فينظر فى مصالح ملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الأشـغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه . فيجلس بالرحبة التى على باب القصر خواص الأمراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط الى

قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بايوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها . وفى الايوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية وكان بهذا القصر الأبلق رسوم وعوائد تغير كثير منها وبقيت الى (الآن) بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة » .

وقد قيل انه لما فرغ العمل من هذا القصر الكبير ، أولم السلطان فى ذلك اليوم وجمع القضاة الأربعة وسائر الأمراء وقرأ الختمة . بل ومد سماطا حافلا وملأ الفسقية التى بالقصر سكرا بماء الليمون ووقف رءوس النوبة على الفسقية يفرقون مشروب السكر على الناس بالطاسات . وخلع السلطان فى ذلك اليوم المشهود على المهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين والدهانين حوالى ألفين وخمسمائة خلعة ، ووزع على النقباء خلع حرير وفرق على الفعلة كل واحد عشرة دنانير وفرق على الفقراء خمسين ألف دينار . ثم أحضر فى آخر الليل المغانى وأرباب الآلات وأوقدت وقدة عظيمة بالقصر تلك الليلة ، وأحرق حراقة نفط بالرميلة وكانت ليلة لم يسمع مثلها .

وفى أيام العثمانيين ، تحول القصر الى مصنع للكسوة الشريفة ، كما ذكر البكرى ، وأيده ماييه فى بحثه (وصف مصر) .

القسم الثالث من عمائر الناصر محمد بن قلاوون

اندثرت هذه العمائر ، وقد ذكرها المقريزى فى خططه ، وكان من أهمها : القصور الجوانية ، والسبع قاعات ، وباب النحاس ، وباب القلة ، ودار النيابة ، والطباق (ثكنات الجند) ، والطبلخانة ، والحوش

والاسطبلات . ولم يبق منها سوى الميدان ، وقناطر المياه التى تمد سكان القلعة .

وسنقصر الكلام على أهمها ، بادئين بباب القلة :

باب القلعة

يستفاد مما ورد فى كتاب صبح الأعشى عند الكلام على القلعة (جـ ٢ ص ٣٧٢) أن باب القلة كان واقعا فى أحد الأسوار الداخلية الواقعة فى القسم الشمالى الشرقى من مبانى قلعة الجبل . وكان السور الذى اتخذ به هذا الباب مكانه يفصل بين الساحة التى كانت خلف باب القلعة العمومى وبين الدور السلطانية . وكانت هذه الساحة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . ويستقى مما ذكره المقريزى فى خططه لدى الكلام على باب القلة (ص ٢١٢ جـ ٢) أنه عرف بذلك لأنه كان هناك قلة (برج مرتفع) بناها الملك الظاهر بيبرس ثم هدمها الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) . وبنى مكانها قبة ، ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون . وجدد باب القلة على ما هو عليه فى زمن المقريزى . وعمل له بابا ثانيا [1] .

وقد اندثر هذان البابان من جراء ازالة السور الذى كان فيه البابان الآنفان . وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلة الحالى . ويتبدى مما هو مبين على خارطة القاهرة التى رسمت سنة ١٨٠٠ أن هذا الباب كان يسمى بباب المدافع . وفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) جدد الوالى محمد على باب القلة الحالى . وهذه البوابة واقعة بعد البوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحرى الشرقى لجامع الناصر محمد بن قلاوون وتفضى الى المتحف الحربى .

---

(١) محمد رمزى بك : تعليقات كتاب النجوم الزاهرة — جـ ٨ ص ٤٥ و جـ ٩ ص ١٨٠ .

دار النيابة

كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) ثم سكنها الأمير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة وكان النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ، وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة . فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره فى نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه ، فتولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آق سنقر فى أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون فجلس بها فى يوم السبت أول صفر سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) فى شباك دار النيابة فكان أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده .

الطباق (ثكنات الجند) (١)

عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها المماليك السلطانية، وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى أن الملك المنصور قلاوون كان يخرج على غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم فى جودته ورداءته فمتى رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستدار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه . وكان يقول

---

(١) لم تكن هذه الطباق ادواره بعضها فوق بعض بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة منهم طباق خاص بهم . وكانت هذه الطباق واقعة فى الحوش الذى به اليوم جامع ثكنات الحرس (سابقا) والمتحف الحربى وجامع سيدى سارية .

كل المملوك عملوا شيئا يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولأولادى وللمسلمين وهم المماليك ، وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة فى النهار ولا يبيتوا الا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها . ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول الى الحمام يوما فى الأسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام ابن قلاوون . وكانت للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة أولها أنه اذا أقدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله فى طبقة جنسه وسلمه لطواشى . فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ فى تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار ، وكان الرسم اذ ذاك ألا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئا من الفقه وأقرأه فيه مقدمة ، فاذا صار الى سن البلوغ أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه ، واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب لا يجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم فينتقل اذن الى الخدمة وينتقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واشتد ساعده فى رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر .

ثم لما كانت أيام السلطان الظاهر برقوق راعى الحال فى ذلك بعض

الشيء الى أن زالت دولته فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للماليك فى سكنى القاهرة وفى النزوح فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة وأخلدوا الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الأحوال فى أيام الناصر فرج بن برقوق.

وبلغت عدة المماليك السلطانية فى أيام الملك المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلها طوائف ، فأفرد طائفتى الأرمن والجركس وسماها البرجية لأنه أسكنها فى أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة .

الطبلخانة

شيدت الطبلخانة تحت القلعة فيما بين باب السلسلة (باب العزب) [1] وباب المدرج فى مكان دار العدل القديمة التى كان هدمها الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) وتولى عمارتها آق سنقر شاد العمائر .

ومن المحتمل أن تكون دار المحفوظات الحالية قد شيدت على أنقاض الطبلخانة .

الحوش

استهل العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) وكانت مساحته أربعة فدادين . وكان موضعه بكرة كبيرة قطع ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا .

وحينما شرع فى العمل ، ألقى على عاتق كل أمير من أمراء المئين

---

(١) ليس هو باب العزب القائم اليوم بل على مقربة منه .

تقديم مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب ، كما عهد بنفس الشيء كل أمير من أمراء الطبلخانة ، وندب الأمير أقبغا عبد الواحد « شاد العمائر » للاشراف على عملية البناء فأتمه بعد سنة وثلاثين يوما .

وفى أيام الملك الظاهر برقوق ، اتخذ الحوش مقرا للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ومكان هذا الحوش اليوم القسم المنخفض (الأسفل) من مبانى القلعة فى الجهة القبلية الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كتخدا . وهو القاعة الكبيرة التى تسمى قاعة العدل . أنشأها محمد على فى سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) ، وكان يجلس فيها الكتخدا أى وكيل الوالى لنظر أمور الدولة ومصالح الناس . ويوجد فى الحوش الأنف الذكر دار الضرب القديمة التى كانت فى وقت ما دارا للمحفوظات . وجلها داخل سور القلعة الحالية .

الاصطبلات

كان أول من استحدث الاسطبلات بالقلعة الملك الكامل ، واستمرت فى أيام خلفائه ، ولكن على عهد الناصر محمد بن قلاوون اتسعت رحابها .

وقد أسهب المقريزى فى الكلام عن هذه الاسطبلات . وهى مجموعة من المبانى كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتى المماليك بغية مسكنى الأمير — هو وأسرته ومماليكه وخيوله — فكان الاسطبل يشمل قصر السكنى وبيوتا لمماليكه واسطبلات لجياده ومخازن لمئونتها وحفظ سروجها . ومثال لها اسطبل قوصون الذى كان بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان أحدهما فى الشارع بجوار حدرة البقرة والثانى قبالة باب القلعة المعروف بباب السلسلة . أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقدار ولكن ابتاعه منه الأمير سيف الدين

قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال . وما لبث أن زاد فيه قوصون وأضاف بداخله عدة عمائر بين دور واسطبلات .. فجاء قصرا عظيما .

وموضع اسطبل قوصون [1] اليوم المنطقة التى تتضمن القصر الأثرى الباقى الى اليوم خلف جامع السلطان حسن المعروف بقصر يشبك أو بقصر الأمير أقبردى الدوادار وقد حرف العامة الاسم الى بردق فأصبح يعرف بقصر بردق . والأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر التى كانت تعرف بحوش بردق ، والأرض القائم عليها الى عهد قريب مدرسة عثمان باشا ماهر الواقعة خلف القصر بشارع قرقول المنشية والأرض القائم عليها النصف الغربى من عمارة والدة الخديو اسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا [2] المطلة على ميدان صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن . وكانت وظيفة ناظر الاسطبلات جليلة القدر فى أيام المماليك ، وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ويستفاد مما ذكره المقريزى أن الاسطبل السلطانى فى أيام الناصر محمد كان مجموعة المبانى التى احتوت على مخازن وورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديما باب الاسطبل ، فى المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا قبومجى الى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلية والشرقية . هذا مع العلم بأن المكان الحالى للاسطبل المذكور ليس فى منسوب أرضية قلعة الجبل ، بل هو فى مستوى أوطى مما عليه فى القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين [3] .

---

(1) محمد رمزى ــ تعليقات النجوم الزاهرة ــ جـ ٩ ص ١١٠ ــ ١١١ .
(2) هدمت منذ عشرين سنة وقامت فى مكانها عدة عمارات حديثة .
(3) محمد رمزى ــ تعليقات النجوم الزاهرة ــ جـ ٩ ص ٣٦ .

الميدان

احتوت القاهرة على ميادين شتى ، وستقصر الحديث هنـــا عن ميادين القلعة .

كان أهم تلك الميادين ـــ وما زال الى اليوم ـــ قرة ميـــدان ، أو الميدان الأسود ، وهو الذى يطلق عليه المقريزى ميدان القلعـــة ، وهذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ، جدده الملك الكامل ابن العـــادل فى عام ٦١١ هـ (١٢١٤ م) ثم عنى به الملك الصـــالح نجم الدين أيوب عناية زائدة وأنشأ حوله الأشجار . فجاء من أحسن الميادين . وفى عام ٦٥١ هـ (١٢٥٣) هدمه الملك المعز أيبك التركمانى فزالت آثاره . وفى عام ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) عمره الملك الناصر محمد ابن قلاوون وحفر فيه الآبار والسواقى وغرس خلاله النخيل والأشجار وأدار عليه سورا من الحجر وبنى حوضا للنيل من خارجه ، فتـــأتى ميدانا فسيح المدى يمتد تحت سور القلعة من باب الاسطبل الى قرب باب القرافة (السيدة عائشة) . ويســـتفاد مما أورده ابن اياس فى « بدائع الزهور » (ص ٥٦ جـ ٤) أن الســـلطان الأشرف قنصوه الغورى عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثيل فى سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) فردم أرضه بالطين وعلى أسواره وجعل له بابا كبيرا مطلا على (الرميلة) وعليه قصر فاخر . وأنشأ بالميدان بستانا غرس فيـــه جميع أنواع أشجار الفاكهة وهيأ به مقعدا وبيتا كما أقام فى الجهة الغربية منه قصرا حافلا ومنظرة وغير ذلك من المبانى الفاخرة .

ومن هذا يتبدى أن ميدان القلعة والميدان الأسود أو قرة ميدان مكانه اليوم ميدان صلاح الدين ويقال له ميدان المنشية أيضا .

ذكر المقريزى أن الملك الناصر لما انتهى من تعديل هذا الميـــدان نزل اليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم . واستمر يلعب فيه

يومى الثلاثاء والسبت . وصار القصر الأبلق يشرف على هذا الميدان . واذا ركب السلطان اليه نزل من درج تلى قصره الجوانى ، فينزل السلطان الى الاسطبل الخاص ثم الى هذا الميدان وهو راكب وخواص الأمراء فى خدمته فيعرض الخيول الخاصة للتفسح ، وفى هذا الميدان يصلى السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله اليه فى يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه. فاذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاسطبل الى هذا الميدان ينزل فى دهليز سلطانى قد ضرب له على أكمل ما يكون من الأبهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان الكبير ويمد سماطه .. الى أن كانت سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) فصلى الملك الظاهر برقوق عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد وقعة الأمير على باى ، فهجر الميدان .

القلعة فى أعقاب الملك الناصر محمد بن قلاوون

شيد بعض أبناء وأحفاد هذا العاهل بعض المبانى ، وكان من أهمها :

قاعة الدهيشة

عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك أنه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها فقصد مضاهاته وبعث الأمير أقجبا وابجيج المهندس لكشف دهيشة حماة وكتب لنائب حلب ونائب دمشق بحمل ألفى حجر بيض وألفى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف فى حمولتها كل حجر من حلب اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الأمراء

وجميع الكتاب ورسم باحضار الصناع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت فى شهر رمضان منها ، وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرهما ، وعمـل لها من الفـرش والبسط والآلات ما يجل وصفه (١) . وقد قيل ان والده الناصر محمد ابتدأ فى عمارتها ولم ينته منها ، فأكملهـا ابنه هذا ولم يسـتطع أحد بعد تفسير كلمة دهيشة ، فقد تكون « حماما » أو ما يشبه المدرسة أو الربع (٢) .

قاعة البيسرية

وشيد السلطان الملك الناصر حسن ، أحـد أبنـاء الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الذى اشتهر مسجده الرائع قبالة القلعـة ، قاعة البيسرية ، ومثل هذه القاعة خصها المقريزى بعنايته ، فكتب عنها :

« كان ابتداء بنائها فى أول يوم من شعبان سنة ٧٦١ هـ (١٣٦١م) ونهاية عمارتها فى ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة فجـاءت من الحسن فى غاية لم ير مثلها وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسـط ما لا تدخل قيمته تحت حصر ، وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا فى السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجـا يبيت فيه من العاج والأبنوس مطعم يجلس بين يديه وأكتاف وباب يدخل منه الى أرض كذلك ، وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليـه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وفيه مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف فى مونة وأجرة تتمة ألف ألف درهم فضة منها خمسون ألف دينار ذهبا . وبصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل (٣) .

---

(١) الخطط المقريزية جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٢) كازانوفا — تاريخ القلعة .

(٣) الخطط المقريزية : جـ ٣ ص ٢٤٤ .

القلعة فى أيام المماليك الجراكسة

٧٨٤ ـ ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م

كان أول عمل للسلطان الظاهر أبو سعيد برقوق (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) فى القلعة اصلاحه القناة التى تحمل الماء الى القلعة ، ثم جدد الميدان ، كما عمر أيضا بالقلعة طاحونا وسبيلا تجاه باب دار الضيافة ، وابتاع بسطا جديدة لدار العدل (٧٨٧ هـ/١٣٨٥م) . وفضلا عن ذلك فانه أمر ببناء حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة .

وهناك كتابة منقوشة تثبت أعمال التحصين التى قام بها ، وهى مثبتة فى جدار القلعة [1] وفيما يلى نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على يد المقر الأشرف السيفى جركس الخليلى أمير أخور الملكى الظاهرى وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة .

وقد لعب جركس الخليلى هذا دورا كبيرا فى أيام برقوق ، فهو الذى نهض ببناء مستشفى برقوق الكبير ، وهو مشيد خان الخليلى المعروف وقنطرة الخليلى . وقد قتل فى احدى الحمــلات العسكرية بالقرب من دمشق فى ١١ ربيع الثانى عام (٧٩١ هـ/١٣٨٩ م) .

وتولى العرش بعد برقوق ابنه فرج (٨٠١هـ/١٣٩٩ م) ، فأمر بتشييد مسجد الحوش عام (٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) . وكان هذا الجامع فى داخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى ، وصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملك الناصر محمد ، الى أن قتل فرج على يد الأمير شــيخ الزعيم الكبير .

---

(١) موضع هذه الكتابة الاصلى غير موضعها الحالى . وقد لاحظ كازانوفا فى جزء من قطعة الســور المجاورة مساحة خالية تعادل لوحة الكتابة المذكورة .

واهتم السلطان شيخ المؤيد بتحصين القلعة ، ولكن أحـدا من المؤرخين لم يف تلك الأعمال حقها من التفصيل . ومن أظهـر تلك الأعمال ، جامعه الذى شـيده على مقربة من سور القلعـة ، يسميه المقريزى (جامع الصوة) ، وكان موقعه بين الطبلخانة وباب القلعة (المدرج) .

كتابة باب السارية (المدرج)

وتمر السنون سراعا ، ولا يذكر المؤرخون شيئا عن عمارة القلعة الى أن يجلس على العرش السلطانى جقمـق الذى نازع منافسـه السلطان يوسف برسباى فخلعه وسجنه وتولى الحكم بدلا منـه . ولهذا السلطان لوحة نقشت عليها الكتابة الآتية وثبتت فى الحـائط الأيمن لمدخل باب السارية (المدرج) ونقف منها ما تم على يديه فى القلعـة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمـد وآله وصحبته وسلم . أمر بتجديد هذا السلم المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقنا الملك الأعظـم سلطان الاسـلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان العرب والعجم وصاحب السـيف والقلم والبند والعلم أفضل من حكم فى عصره بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية والسواحلية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره (بتاريخ شـهر) جمادى الآخـرة سنة احـدى وخمسين وثمان مائة) » .

ولم يتناول ابن اياس أعمال السلطان قايتباى (١٤٦٧ــ١٤٩٦) فى القلعة الا أنه جدد عمارة الايوان الكبير بالقلعة ، وأنشأ المقعـد الكبير والمبيتين اللذين فى الحوش السلطانى .

وهناك على يمين الكتابة الآنفة ، كتابة باسم قايتباى ، نورد نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آله وصحبته وسلم . أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطان من فضل الله تعالى وحسن عطائه ونعمته سيدنا ومولانا مالك رقنا سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خادم الحـرمين الشريفين مولانا السـلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أطال الله ملكه » .

وصف الرحالة للقلعة

لعل خير وصف لسفير أجنبى عن القلعة فى أوائل القرن الخامس عشر هو الذى كتبـه الفلورنسى « فليس برانكاتش » حينما قابله السلطان برسباى عام ١٤٢٢ . قال :

« قبل الفجر بساعة ، جاء الينا التراجمة ومعهم الخيل . وكان معهم السيد المختص باستقبال السفراء وبرفقته جمـاعة من الموظفين امتطى بعضهم ظهور الجياد وآخرون مترجلون . قصدنا القلعة التى يقيم فيها السلطان وتبعد حـوالى ميلين عن سكننا وهى تنهض على مرتفع . فأخذنا فى السير وقت الفجر ولكننا انتظرنا قرابة الساعة خارج البوابة الأولى . كانت الشمس تعلو فوق رأسنا وشاهدنا الأمراء ومنهم الكبير والصغير يدخلون القلعة . كان هؤلاء كثيرون وهم يرتدون ملابسهم الرسمية الطويلة من الكتان الأبيض ولها أزار أزرق موشى ومزينة بزخارف وكانت الغالبية ترتدى الكسوة الرسمية . وبعـد ساعتين ونصف الساعة صعدنا الى القلعـة عن طريق درج سـعتها ٨٠ ياردة تقريبا ولكنها كانت شديدة الانحـدار بالنسبة للخيـل . فوصلنا الى باب كبير ، ومن بعده الى ساحة كبيرة حيث جلسنا وسط عدد عظيم من المماليك وانتظرنا حوالى نصف الساعة . ثم عبرنا بابا آخر واجتزنا عدة دهاليز معقودة وسط صفين من المماليك يواجـه

الواحد الآخر وكانوا يحملون الرماح بأيديهم وأخيرا وصلنا الى باب آخر يقوم الحراس عنده . ثم واصلنا السير عبر أقبية معقودة وصلنا الى ساحة أخرى ، شاهدنا فيها الرجال المسلحين بالرماح وهم مصطفين. وهنا قاموا بتفتيشنا جيدا ليتأكدوا أننا لا نخبىء سلاحا . وأخيرا وصلنا مقر السلطان بعد أن صعدنا ست درجات كان يقف الحراس عليها وهم يحملون أسلحتهم . كانت لرماحهم أطراف من الحديد وهى تشبه رماحنا المشعبة الأطراف وكلما مررنا بهم التقت رءوس الرماح فوق رءوسنا تحية لنا . وكان يجتمع فى كل نقطة للحراسة حوالى ١٢ من الرماحين . وأخيرا دخلنا قاعة كبرى يجلس فيها السلطان . كانت فى هندستها تشبه تخطيط كنيسة : مقسمة الى ثلاثة أقسام بعمد من الحجارة ، وكان القسم الأوسط أكبر من القسمين الجانبيين . وكانت هذه الأقسام الثلاثة مفتوحة جميعها من الجانب الذى دخلنا منــه . الا بستارة معلقة تمتد من أعلا الفتحة الى الأسفل . كانت أرضــية القاعة مبلطة بالرخام وهناك سجادة تغطى قرابة نصف الأرضية . وفى مواجهة المدخل كانت هناك ما يشبه المنصة ولها درج على كلا جانبيها. كان السلطان جالسا على هذه المنصة ناحية اليمين . ولم يكن لها فى مقدمتها دروة وكانت للمنصة درجات فى جانبيها . كنا نشاهد السلطان من كل ناحية فقد ارتدى ملابس كتانية كالآخرين وكان يبلغ الثمانية والثلاثين من العمر . أو قل الأربعين . وله ذقن سمراء . وكان يقف خلفه كثير من المماليك . يحمل أحدهم السيف أما الغمد فكان بيده اليسرى . وآخر يحمل ابريقا وكان هناك مملوك آخر يحمل على كتفه اليمنى قضيبا من الذهب الخالص طوله ياردة تقريبا وسمكها حوالى البوصــة . وبالقرب من هؤلاء ، وقف آخرون على الدرج الجانبى ، وأمام المنصة . وكان الموسيقيون منتشرين فى القاعة وهم يعزفون على آلاتهم مع مشاركة المغنيين ، ورأينا بعضهم جالسين على درج المنصة ثم أمرنا بأن نتقدم ونقبل الأرض سبع أو ثمانى مرات ونحن سجود ،

فلما :صبحنا على مسافة خمسة وعشرين ياردة من السلطان ، وقفنا على أقدامنا وسكتت الموسيقى والضوضاء . وكنا قد أمرنا بأن نوجز تلك المقابلة الأولى وفى خلال ذلك كان حمـلة البلط يسلطون بلطهم فوق رءوسنا . ولم نكد نتتهى من نطق بضع كلمات للمترجم حتى فوجئنا بعبارة « كفى .. كفى » . ثم سرعان ما أمرنا بتقبيل الأرض والعودة من حيث دخلنا الى مدخل القاعة ! وهنا قبلنـا الأرض مرة أخرى وأدرنا ظهورنا وغادرنا المكان . ثم ترك السلطان القاعة » .

خليل بن شاهين

وخير المراجع التى أمدتنا بالحقائق التاريخية عن القلعة فى عصر المماليك البحرية وأوائل أيام المماليك الشراكسة ، يزخـر بها صبح الأعشى للقلقشندى (١٣٥٥ــ١٤١٨) ، وخطط المقريزى (١٣٦٤ــ ١٤٤٢) . أما فى عصر المماليك الشراكسة فقدم لنا الخليل بن شاهين الظاهرى [1] (١٤١٠ ـــ ١٤٦٧) مؤلف زبدة كشف الممالك وصفا جديدا عن القلعة فى أيامه ، وبالرغم من ايجازه فانه يمدنا بصورة جلية عنها فى منتصف القرن الخامس عشر . يقول :

ان المقر السلطانى وفيه كرسى السلطنة هو المكان الذى يعرف اليوم بقلعة الجبل ، وليس لها شبيه فى قدرها ومكانتها وأبهتها وعلو شأنها . تحيط بها الأسوار والخنادق والأبراج والأبواب الحـديدية الكثيرة فتجعلها حصنا منيعا . واذا أردنا أن نصف ونعدد قصورها وقاعاتها وحجرها ومناظرها وأبهائها ودهاليزها وساحاتها وميادينهـا وجوامعها ومدارسها وأسواقها وحماماتها فذلك يتطلب الكثير منا . ولذلك سنذكر الأشياء الجليلة التى تكسبنا فكرة عن عظمة السلطنة .

---

(١) كان السـلطان قد عهد الى ابن خليل الظاهرى بالاشراف على دار ضرب النقود فى عام ١٤٣٦ .

فالقصر الأبلق يحتوى على ثلاثة مباذر ئيسية ، تستخدم فى الحفلات الرسمية ، تغشى جدرانها الرخام المتعدد الألوان ، أما السقف فجميعها مطلاة بالألوان الذهبية والزرقاء ومحلاة بالرســوم المتنوعة . وليس هناك فى الدنيا ما يماثل القاعة الكبرى التى تقوم مستقلة عن القصر الأبلق ، وتعلوها قبة عالية وجميلة لونها أخضر . وفيها عرش السلطنة. وهذه القبة ذات هندسة جميلة من الداخل والخارج وترتكز على عمد من الرخام . ونقول ذلك أيضا عن جامع القلعة الذى لا يقــل روعة يصلى فيه خمسة آلاف . وفيه العمد العظيمة ، وللجــامع منــارتان رائعتان ، وفى القلعة قاعات كثيرة يجلس فيها السلطان فى اجتماعاته الخاصة وهى جميلة البناء . وفيها بعــض الدور المخصصة لحــريم السلطان . أما عن طباق المماليك فعددها ١٢ ، ويمتد كل طباق مسافة شارع ويتسع الواحد منها ألف مملوك . والساحة الداخلية فى القلعة فسيحة جدا وبها حديقة واسعة وبركة صغيرة . أما الاسطبلات التى خصصت لخيل السلطان فتمتاز بسعتها وكثرتها .

وقد وصف القلعة فى أوائل القرن السادس عشر نفر من الرحالة والزائرين الأجانب . وقد أجمعوا على أنه ليس لها أهمية من الناحية العسكرية . قال جان ثينو فى كتابه عنها :

ان قلعة السلطان أقل مساحة من مدينة أورليان . ولما دخلنا اليها أطلقت المدفعية وكان هناك ما يقرب من خمسين موسيقيا ومعهم آلاتهم المنوعة . عبرنا ساحة كان فيها حوالى خمسمائة من المماليك المصطفين يرتدون ملابسهم البيضاء وعلى رءوسهم العمائم الخضراء والسوداء . اجتزنا ساحة أخرى وكان عند مدخلها عتاد بعض الجياد وآلات تحطيم الأسوار ، كما كان هناك أيضا بعض السلاحين وصانعى السيوف . وكان فى هذه الساحة ما يقرب من ألفى مملوك هندامهم أفضل ممن رأيناهم فى الساحة الأولى . وعند رأس الساحة كان يجلس السلطان

متربعا على دكة غشيت بالسجاد الوثير ، وتتقدمه على الأرض سجادة فرشت قدرها عشرون قدما مربعا . كان رداؤه من قمـاش التافيتا الأصفر وواضعا على رأسه عمامة طويلة من القماش الناعم المجلوب من الهند وكان لها ستة قرون يمينا ، وقرنان يسارا . وقيل لنا أن هندام الرأس هذا قد اتخذ منذ عشرين سنة فقط (انظر الملابس) .

وفى ذلك الحين زار تريفزانو البندقى القاهرة وحظى بمقـابلة السلطان فى القلعة وقال عنها انها عبارة عن قصر كبير (١) .

* * *

خلف قايتباى ابنه الناصر محمد (١٤٩٦) ولم تمتد حياته فقد قتل ، ثم خلفه ثلاثة سلاطين ضعاف تعاقبـوا على العرش وهـم على التوالى : قانصـوه الأشرفى وجانبـلاط وطومان باى الأول . تميز عهدهم بقصر فترة الحكم ، وتكاثر الاضطرابات ، وانتهاء حكم كل منهم بالعزل ، نتيجة لهياج المماليك ، ومحاصرتهم القلعة لطردهم .

وبالرغم من وجود لوحة رخامية مستطيلة عليهـا كتابة بالنسخ الجميل ما زالت باقية فى مكانها الى اليوم تحمل اسم السلطان أبو نصر طومان باى ، فاننا نرى أن قصر مدة حكمه (٢) تسمح باجراء العمارة التى نوه بها فى تلك اللوحة ، ونعتقد أنها تعزى للسلطان جنبـلاط (٩٠٥ـ٩٠٦ هـ / ١٤٩٩ـ١٥٠١) يؤيدنا فى ذلك ما أورده ابن اياس فى كتابه . قال :

ان السلطان (جانبلاط) أخذ فى أسباب تحصين القلعة بالمدافع وتركيب المكاحل وادخر فيها ما يحتاج اليه من بقسماط ودقيق وجبن وعسل وحطب وعليق وملأ الصهاريج بالماء . وأدخل فى القلعة أشياء

---

(١) ص ١٤٤ .

(٢) كانت مدة حكم طومان باى الاول ثلاثة أشهر و ١٣ يوما فحسب .

كثيرة من احتياج المطبخ ثم بنى برجا محيطا على باب السلسلة وبنى بابا بالحجر على باب المدرج وحصن الأبراج التى حول القلعة . ثم ان السلطان صار ينزل الى الرميلة ويكشف على البنائين الذين يبنون الأبراج ، وكاد يأمر بهدم قبة مدرسة السلطان حسن لولا أن راجعه فى ذلك الأمير تغرى بردى الاستادار .

تمت كل هذه التصليحات لدعم مبانى القلعة ضد تهديد العثمانيين لمصر . وفعلا فقد شنوا حــربا شــعواء ، انتصروا فيها على قوات السلطان الغورى فى معركة مرج دابق (١٥١٧) .

فماذا عمر فيها السلطان قانصوه الغورى ؟ يقول ابن اياس انه : « أنشأ الميدان الذى كان تحت القلعة ونقل اليه أشجارا من الشام وأجرى اليه ماء النيل من سواقى نقالة وأنشأ به المناظر والبحرة [1] والمقعد والمبيت .. وجدد غالب عمارة القلعــة منها الدهيشة وقاعــة البيسرية وقاعة العواميد وقاعة البحرة ، وجدد عمارة المطبخ كما أنه أصلح القصر الكبير الذى بالقلعة .

حاول الغورى زمنا الحفاظ على نفوذ المصريين حتى باب المندب ، بالرغم من مقاومة البرتغاليين . وكان بعض أمراء الهند يستنجده على الفرنج فيرسل الأساطيل والجند فى الحين بعد الحين .

كان الغورى مولعا بالحدائق والأزهار وايصال المياه الى الحدائق، واقامة الأحواض والنافورات ، يدل على ذلك ما اتجهه فى ميــدان القلعة . ومثل هذا الميدان وصفه الشاعر الشريفى مترجم الشاهنامه . وذكره ابن اياس كثيرا . يقول فى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٤ (١٥٠٨) :

---

(١) يقصد البحيرة على الارجح .

« وفيها كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها السلطان كما تقدم . فدارت هناك الدواليب وجرى الماء فى المجراة حتى وصل الى الميدان الذى تحت القلعة .

ثم أن السلطان صنع هناك سواقى نقالة . وبنى ثلاثة صهاريج تمتلىء من ماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح فى الميدان وشرع فى بناء بحيرة فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان ، فكان طول تلك البحيرة نحوا من أربعين ذراعا . وقيل أكثر من ذلك. وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان . ثم يتابع ابن اياس حديثه عن أحوال عام ٩١٥ هـ (١٥١٠) :

« وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان . وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة .. فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويفرش فوقها مقعد مخمل بنطع ، ويجلس عليه . وتظله فروع الياسمين . وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه . ويعلق فى الأشجار أقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزارات ومطوق وبلابل وشحارير وقمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع . ويطلق بين الأشجار دجاج حبشى وبط صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة . الى أن قال ـ وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض » .

وقد نقش السلطان الغورى اسمه على أحد عقود قناطر الميـاه الكبيرة التى كانت تنقل الماء الى القلعة . وبهذا ينتهى الحـديث عن القلعة فى أيام المماليك الجراكسة .

القلعة منذ أيام العثمانيين حتى وصول الحملة الفرنسية

١٥١٧ - ١٧٩٨

انتصر العثمانيون على المماليك فى معركة الريدانية بعد مقاومة طومان باى الباسلة ، وبعد أيام ، صعد السلطان سليم العثمانى الى القلعة فى موكب فخم وحواليه جنده ، وما انفك أن احتجب عن أنظار الناس ، ولم يجلس على التكة كما جرت العادة من قبل . ومنذ ذلك اليوم أهملت القلعة اهمالا تاما ، فربطت الجياد فى الجوش لدى الايوان الكبير وباب الجامع ، وصار روث الخيل أكواما متناثرة على الأرض . وبدأ دبيب الخراب يتجول فى دور القلعة ويغشى محاسنها . وامتدت الأيدى تنتزع رخامها وحلياتها ، وتقتنص ما تضمنته من اللطائف والتحف .

فتجردت قاعتا البيسرية والدهيشة والقصر الكبير وما اليها من الأماكن الهامة من بديع رخامها وطرائف زينتها ، وسلبت عمد الايوان الكبير ، لأن السلطان — غفر الله له — شاءت له هوايته واعجابه أن يشحنها الى استانبول ، عاصمة ملكه ، التى ابتغى أن يخلع عليها زينة وأبهة من أنقاض القلعة خاصة والقاهرة عامة !!! .

ويا ليت الأمر قد قصر على فك نفائس القلعة ونقلها ، بل تمادى أيضا الى القصور والمساجد ، بل واستباح حرمات الدور .. دور الناس الآمنين ، فكان والى القاهرة على رأس جماعة من الأفاقين يهجمون على البيوت ، كعصابات اللصوص ، وينتزعون منها الرخام والطرائف ، رضى أصحاب البيوت أم لم يرضوا . وفى الوقت الذى كان هؤلاء ينشطون فى أعمال النهب والتخريب ، كان كبار العثمانيين يستلبون الكتب النفيسة من المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرغتمشية وغيرها من مدارس القاهرة .

ويفضى الأمر بالسلطان — فى سبيل تحقيق أمانيه — بترحيل عدد كبير من أصحاب الصناعات والحرف المصريين ، الى استانبول وبذا حرم مصر من أعمالهم الجميلة التى ازدانت بها القاهرة خلال أيام المماليك . وقيل ان السلطان أرسل بدلا منهم عددا من الصناع الأتراك !

وشرع السلطان سليم فى مبارحة مصر ، عقب أن استطالت اقامته بها ثمانية أشهر الا أياما قلائل ، كان يتردد ابانها بين القلعة وجزيرة الروضة ، بل وقضى معظمها بالمقياس ، دون أن يحاول الجلوس على سرير الملك بالقلعة ، وغادر فى اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ هـ (١١ سبتمبر ١٥١٧ م) بيت ابن السلطان قايتباى ، ومر بالقلعة فى موكب زاخر يسبقه ملك الأمراء خيربك . ولم يخترق الموكب قلب القاهرة بل فضل السلطان السير فى خارجها .

وسلم مقاليد الحكم الى الأمير خير بك الذى خان سيده السلطان الغورى وانضم الى العثمانيين . وما ان تسلم الزمام حتى صعد الى القلعة فى موكب فخم مخترقا الصليبة بالفجر ، وتستولى عليه الرغبة الملحة فى اصلاح مبانيها . فيرسل فى طلب البنائين والنجارين والمبلطين ليصلحوا ما أفسده العثمانيون .

دأب خير بك على اصلاح القلعة بينما كان العثمانيون دائبى السطو على دور الأزبكية فينزعون أبوابها وسقوفها ونوافذها ويحملونها على الجمال لبيعها فى الأسواق بأبخس الأثمان . بل أكثر من ذلك كان جنودهم ينزعون أخشاب طباق القلعة ويستخدمونها فى ايقاد النار لطهى الطعام .

وكان الأمير خير بك قد أمر قائد جنود الانكشارية بالصعود بهم الى القلعة واحضار مكاحلهم وبنادقهم معهم ، فلما وصلوا الى ثكناتهم

أمروا بادخال تلك المكاحل والأسلحة فى الزردخانة ، كما أمرهم بالاقامة فى طباق القلعة وألا ينزلوا اطلاقا الى الميدان .

وفى يوم ٢٧ ذى القعدة عام ٩٢٦ هـ (٢٠ ديسمبر ١٥٢٠) أخذ خيربك مفاتيح الأمكنة التى فى القلعة وسلمها لجماعة من الأتراك وطرد البوابين والغلمان ، كما أبطل الطهاة وأقام جماعة من الترك عوضهم ، وأبطل المقرئين الذين يتلون فى القلعة والمؤذنين كذلك .

رأينا الجنود الانكشارية (١) تحتل القسم الشمالى من القلعة خلفا للمماليك ، وبعد زمن شغلت طائفة العزب القسم الجنوبى منها . الا أن هذا التجاوز كان مدعاة لأن ينشب الشجار بين جنود الطائفتين مرارا فى القلعة ويتحول منها الى أحياء المدينة القريبة فيسود الهرج والمرج عدة أيام .

وظلت الطائفتان تضطلعان بأعمال الحامية التركية الى جانب السلب والنهب والاعتداء ، حتى وصلت الحملة الفرنسية الى مصر .

وكانت المبانى الملحقة بالقسم السفلى من القلعة والمجاورة لباب السلسلة مخصصة لرجال العزب ، أما المبانى الأخرى التى تنهض على امتداد الميدان فكانت مقر الباشا (الوالى) ، ولم يكن هذا القصر على شىء من الفخامة . فقد وصفه دومابيه بقوله : « ان القاعة التى يعقد فيها الباشوات مجتمعاتهم جد طويلة ووسيمة . بيد أنها خالية من الزينة . علقت على جدرانها سبعة تروس سميكة من خشب الساج، قيل ان السلطان سليم — وكان قويا مجيدا للرماية — أصاب الترس واخترقها سهمه فى مرة واحدة ، وقد كان معروفا أن السلطان أرسل هذه التروس والرمح ليظهر للمصريين قوته وبطشه .

---

(١) سمى باسمهم سور الانكشارية وهو الاسم الذى أطلقه الفرنسيون عليه .

منشآت هامة فى العصر العثمانى

مسجد السارية (سليمان باشا) اثر رقم ١٤٢

شـــيد فى الأصل للجنود الانكشارية ، الذين أمروا بعدم مبارحة القلعة ، حتى لا يصطدموا بطائفة العزب فى القسم الأسفل من القلعة . بينما كان مسجد ابن قلاون قد تهدمت أركانه ، وأهملت أحواله ، وصار لا يصلح لاقامة الصلاة فيه .

أنشأ هذا المسجد الوالى سليمان باشا عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) على طراز مساجد الآستانة ، تعلوه قبة كبيرة مكسوة بالقاشانى ، قبالتها صحن كبير مكشوف ، تحيط به أروقة ذات قباب صـغيرة كسيت بالقاشانى أيضا .

وفى داخل المسجد كتابة تاريخية عن انشاء هذا الجامع نصها :

« قد بنى وعمر الجناب العالى مملوك سلطان السلاطين سليمان ابن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته الى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصريين سليمان باشا اللهم اجعله من الفائزين مسجدا لوجه الله المعين طلبا لمرضاة رب العالمين ليعبـــدوا فيه عباد الله وكان تاريخـه فاركعوا لله مع الراكعين » .

(وحساب هذه العبارة بالنقط عام ٩٣٥ هـ) .

مسجد احمد كتخدا

بناه الوالى أحمد كتخدا (١١٠٩ هـ/١٦٩٨ م) ، وعلى أحــد جدره كتابة باللغة التركية يستدل منها على اسم منشئه وتاريخ انشاء المسجد . وقد بين على خريطة القاهرة التى وضعها رجال الحمــلة الفرنسية فى عام ١٧٩٨ باسم مسجد العزب .

وقد ذكر المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى وأيده دومابيــه

قنصل فرنسا فى مصر أن الوالى اسماعيل باشا التركى (١١١١ هـ / ١١١٦ هـ) نهض باصلاحات شتى فى مبانى القلعة ولا سيما فى زاويتها الجنوبية الغربية حيث مسكن الباشوات ، وكذلك رمم قاعة الغورى التى بالبستان ، وبنى صهريجا بداخل القلعة ، وأنشأ الحمام البديع بقرة ميدان ونقل اليه من القلعة حوض رخام كان قطعة واحدة وأنزلوه من السبع حدرات .

ثم يجىء دور رضوان كتخدا الجلفى — أحد زعماء البكوات فى القاهرة — الذى يتغلب على منافسيه من زعماء الأحزاب الكثيرة التى عرفتها القاهرة فى ذلك العهد ويتحد مع ابراهيم بك ، وبدورهما يضعان أيديهما مع الوالى « أحمد باشا الشهير بكور وزير » فأزالوا من طريقهم جميع المنافسين بمؤامراتهم .

وتخلصت القاهرة من مكائد الأحزاب وأنانية رجالها ، وأصبحت تحت رحمة اثنين من الأمراء الأقوياء . وسنرى ما تم فى القاهرة من الأحداث فى أيامهما لأنها تعطى صورة لما كان يسود القاهرة .

كان لكل من هذين الأميرين متجه يهدف اليه فى رياسته — فكان ابراهيم صاحب السلطان وقائد الجيوش ومدبر السياسة ، على حين كان رضوان مؤلف القلوب وقبلة القصاد . وكان الأميران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآلفين فقضيا فى رياستهما سبع سنين ونيفا . وقد مات الأمير رضوان على أثر مؤامرة دبرت ضده . فهرب الى الصعيد حيث مات (١٧٥٤) .

وعمر رضوان بك باب القلعة (الغربى) بالرميلة (١٧٥٤) وهو الباب المعروف بباب العزب أو باب السلسلة ، فشيد حوله هاتين البدنتين العظيمتين الباقيتين والزلاقة التى كانت موجودة الى أواخر أيام محمد على .

الوالى محمد يحيى باشا (١٢٠٠ هـ / ١٨٧٥م)

وكانت القلعة فى ذياك العهد ، شبيهة بالمدينة المستقلة ، تتمتع بعزلتها ، لها مساجدها وميادينها وبيوتها وحماماتها ومقابرها . فيها بيت المال وسكن الباشا وفرقة جنود الانكشارية .

ولما زار الرحالة سافارى القلعة فى خلال القرن الثامن عشر (١٧٧٧ — ١٧٧٩) قال عنها :

« انها تتألف من مجموعة خرائب وأنقاض تلوح عليها علائم الحزن . ولم يتبق منها سوى بعض أماكن قليلة صالحة للسكنى .. » .

وكان يقام بالقلعة ، ابان الحكم التركى ، المهرجانات الرسمية لاستقبال الولاة ، أو حفلات الأعياد القومية والدينية ، كغرة شهر رمضان ، والمولد النبوى ، ووفاء النيل .

وفى أول المحرم عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥) وصل الوالى الجديد محمد باشا يكن . وقد تهيأ له فى الفترة القصيرة التى قضاها فى مصر أن يعمر قصرا ويترك أثرا يتحدث عن عمارته .. فعلى مقربة من باب الجبل الى داخل الحائط تقرأ كتابة باللغة التركية يستدل منها على بنائه قصرا فى الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة ، وقد أطلق على هذا

القلعة فى أيام الفرنسيين ١٧٩٨ — ١٨٠١

هزم الفرنسيون فى معركة (أبو قير) البحرية ، ولكنهم انتصروا على المماليك فى معركة (امبابة) ، ودخل نابليون القاهرة فى الرابع والعشرين من يوليو عام ١٧٩٨ ، وجعل مقر رئاسة الجيش العامة فى قصر محمد الألفى بخط الساكت (فندق شبرد ، ومدرسة الألسن الجزء كلمة (سراى) لدى وصول الحملة الفرنسية (١٧٩٨—١٨٠١). فيما بعد) .

كانت القلعة حينما وصل اليها الفرنسيون ، تنقسم الى قسمين : القسم الأعلى حيث يقيم جنود الانكشارية على ارتفاع مائة متر تقريبا من سطح النيل ، والقسم الأسفل حيث يقيم جنود العزب ، ويفصلهما عن بعض سور . وفى داخل القسم العلوى سور صغير يلف حول برج صغير اسمه خزنة القلة ، وبرج الانكشارية أقوى أبراج القلعة . أما بئر يوسف فيوجد فى جهة أخرى خلف القسم العلوى ، كما أن هناك سورا آخر يطلق عليه سور الأغا .

ففى السابع والعشرين من سبتمبر من العام ذاته ، أمر الفرنسيون سكان القلعة بمبارحة منازلهم والنزول الى المدينة للسكن فيها ، وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع ، وهدموا أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء جدر وكرانك وأسوارا ، وقوضوا أبنية عالية. وأعلوا مواضع منخفضة . وغيروا معالم القلعة ، وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار العظماء . وما كان فى الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية .

هذا ما ننقله عن مؤرخ هذه الحقبة « عبد الرحمن الجبرتى » ، الذى تابع حديثه قائلا :

« ان مبانى القلعة قد ضاقت بساكنيها ، مما جعل أحد الفرنسيين ينقل سكنه الى جامع السارية ، بعد ما نقلوه اليها من العتاد والغلال والذخائر والأحطاب مع ما هدموه من أماكنها . وسووا أبواب الميدان واقتصروا على باب السبع حدرات فى النزول والصعود الى الميدان المذكور » .

وحينما يسوء الحال بالفرنسيين فى مصر بعد هزيمتهم قبالة الانجليز فى معركة كانوب (الاسكندرية) التى دارت فى ٢١ مارس ١٨٠١ يعقد مجلس حربى بقيادة الجنرال بليار فى القلعة . ويقوم شارحا

موقف الجيش الفرنسى ، وكان ميالا الى التسليم ، فيعارضه بعض أعضاء المجلس .

وتنتهى المفاوضات بين ممثلى الانجليز والفرنسيين بالاتفاق على جلاء الجيش الفرنسى عن القاهرة وقلاعها وقلاع بولاق والجيزة وعن جميع الجهات التى تحتلها القوات الفرنسية فى مصر ، وحدد للجلاء عن القاهرة وبولاق اثنا عشر يوما .

أخلى الفرنسيون قلعة الجبل وباقى الحصـــون . وانتقلوا الى الروضة وقصر العينى والجيزة استعدادا للرحيل من رشيد . ودخلت الجنود العثمانيون القاهرة فى ١٤ يوليو ١٨٠١ ، ثم أخلى الفرنسيون قصر العينى والروضة والجيزة وأقلعت سفنهم الى رشيد . وبذلك تم جلاؤهم عن القاهرة وضواحيها وأخذوا معهم رفات الجنرال كليبر . وساروا من رشيد الى أبى قير وأبحرت بهم السفن فى أوائل أغسطس عام ١٨٠١ الى فرنسا ، ثم وقع الجنرال مينو اتفاقية الجلاء النهائى عن وادى النيل يوم ٣١ أغسطس . وبجلاء الفرنسيين بعد احتلال ثلاثة أعوام وشهرين ، طويت صحيفة احتلالهم ، وبدأت تتنازع السلطة فى مصر ثلاث قوات : الأتراك ، والانجليز ، والمماليك . وظهرت قوة رابعة على مسرح النضال السياسى وهى الشعب المصرى ، وقد فاز أخيرا فى معركة الحرية .

القلعة فى أيام محمد على وخلفائه (١٨٠٥ ـ ١٩٥٢) :

شيد الباب الجديد ــــ وهو المدخل الرئيسى للقلعة اليوم ــــ فى أيام حكم الوالى محمد على ، وهو باب مرتفع ، صفحت مصاريعه بالحديد ، وله باب خوخة ، يعلو الباب سقاطة صغيرة بأسفلها لوحة مستطيلة نقشت عليها كتابة نصها : « يا مفتح الأبواب افتح لنا خير

باب » . والباب الجديد وما يليه من العقود والأبواب والأسوار المتصلة بها أنشأها محمد على باشا عام ١٢٤٠/٤٢ هـ ـ١٨٢٤/٢٦ م .

ونشاهد الى يمين البـاب الجديد ، دار المحفوظات القديمة ، (الدفترخانة) ، التى شيدها محمد على فى عـام ١٢٤٤ هـ ـ١٨٢٨ لحفظ وصيانة أوراق الدولة ومستنداتها وسجلاتها . وتمتاز هـذه الدار بمدخلها الكبير الذى يسوده طراز الحصون من أبراج ومزاغل، ويعلو الباب سقاطة كبيرة تحملها سبعة كوابيل بارزة ، وتحت السقاطة لوحة رخامية عليها كتابة باللغة التركية ومؤرخة فى عام ١٢٤٤ هـ .

ويؤدى الباب العام للدار الى طرقة معقـودة تنتهى الى فنـاء مكشوف ، تحيط به عقود . وبالجهة الشمالية للفناء باب آخر يوصل الى فناء داخلى أحدقت به العقود الحجرية ، خلفها ممرات معقودة على جانبيها غرف أعدت للمحفوظات ويعلوها دور ثان . وقد شيدت دار المحفوظات على أنقاض الطبلخانة التى بناها السلطان الظاهر بيبرس .

وبعد عبورنا المدخل نجد أنفسنا فى فناء مكشوف ، متصل من جهة اليمين بالقسم الأسفل من القلعة بمنحدر شديد . وفى هذا المكان طارد أتباع محمد على المماليك فى أثناء المذبحة البشـعة التى دبرت ضدهم للخلاص منهم (١٨١٠) .

ثم نجتاز الباب الأوسط للقلعة وهو من تشييد محمـد على ، فيواجهنا جامع محمد على بمئذنتيه الجميلتين وقبابه الكبيرة والصغيرة، ثم نلتف الى اليسار فيقابلنا برج كبير ، ومسجد الناصر محمـد بن قلاوون وبابه الشمالى الذى تعلوه احدى منارتى المسجد .

نجتاز باب القلة الذى استحدثه محمد على بالقـرب من المكان الذى كان فيه باب القلة القديم . ونشاهد الى اليمين برج المقطـم

الشامخ ، وفيه قضت الملكة شجرة الدر أيامها الأخيرة قبل اغتيالها ، ونشا أمامنا قصر الحرم ، ويشغله المتحف الحربى منذ عام ١٩٤٨ (١).

يشغل هذا القصر ، أو بعبارة أخرى يمتد محاذيا لجزء كبير من سور القلعة الشمالى الذى بناه محمد على ، والذى يشرف على جبل المقطم والحطابة . وقد أمر محمد على بانشاء قصر الحرم فى عام ١٨٢٧، ويتألف من أجنحة ثلاثة . فالجناح الشرقى ويصل اليه من باب معقود بواجهته القبلية ، وهو مغشى بالرخام الأبيض ، وعليه زخارف بارزة ، ولوحة رخامية بها كتابة تركية تاريخها عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧) .

ويفضى هذا الباب الى دركاة بها صفف وعقود حجرية على يسارها حجرة للحارس . وهذه الدركاة تؤدى الى فناء مربع بجداره الشمالى باب به دركاة على نسق السابقة توصل الى فناء آخر تشرف عليه واجهة القصر ، على امتداد الجناحين الآخرين . ويحيط بهذا الفناء أبنية مكونة من طابقين ، وواجهة هذا الجناح مؤلفة من ثلاث طوابق.

وقد نقشت الجدر الداخلية برسوم زيتية ملونة تمثل جواسق وستائر وأفاريز وزخارف شجرية فيها بعض الزهور . ويشتمل القصر على غرف كبيرة نقشت جدرها وأسقفها بنقوش جميلة بعضها مذهب .

وهناك سلم مزدوج يوصل من الطابق الأرضى للعلوى ، وهنا يجد الزائر ردهة كبرى بها أربعة ايوانات فى بعض أركانها بابان لغرفتين ، وتتصل بها طرقات توصل الى باقى أجزاء القصر . وهذه الردهة أبهى ما فى الجزء الشرقى من القصر ، وكذلك حجرة الفسقية الموجودة بالطرف الشرقى البحرى منه . والنقوش التى تعلو جدر

---

(١) سنصف هذا المتحف فيما بعد .

الغرف تدور حول مناظر الزهور ، فيما عدا السقف فزخرفه هندسى الشـــكل .

الجناح الأوسط فى القصر

يتوصل الى هذا الجناح من حديقته الواسعة التى تبلغ مساحتها ٥٧×٧٠ مترا تقريبا . كانت تحاط بتكاعيب الكرم ، وتتوسطها نافورة يعلوها جوسق . وتطل على الحديقة واجهة القصر ، ويتوسطها باب كبير ركب عليه مصراعان عليت حشواتهما بنقوش بارزة ، ويرجح أن هذا الجناح كان المدخل الرئيسى للقصر . ويؤدى الباب الى سلم مزدوج يوصل الى الطابقين العلويين ، والطابق الأرضى يحتوى على ردهة كبيرة ، بكل ركن من أركانها غرفتان . وجدرها محلاة بصور زيتية ، وكذلك الأسقف . ويوجد بهذا الطابق حمام يتألف من طرقة مستطيلة مغطاة بسقف جصى حلى بزجاج ملون ، ثم باب أول وهى غرفة مقسمة الى ايوانين بينهما درقاعة ، ويغطى الجميع ســقف جصى من الزجاج الملون ، وواجهة كل من الايوانين محمولة على عمد رخامية قواعدها مربعة ، ومطعمة برخام أحمر اللون .

والقسم الداخلى (بيت الحرارة) يوصل اليه من باب الغــرفة الأولى ، على جانبيه نافذتان لتوصيل الملابس منها ، وهو مقسم الى أقسام أكبرها أوسطها . ويغطى الجميع سقف جصى بتقاسيم زخرفية ، والسقف محمول على عمد رخامية . وبالصدر حوض رخامى كبير من قطعة واحدة .

ومن السلم المزدوج يصل المرء الى الدور الثالث ، وينتهى الى ردهة كبيرة تبلغ مساحتها ١٤×٢٦ مترا تقريبا بها أربعة ايوانات مقاس بعضها ١٠×١٢ متر تقريبا . والسقف والجدر مزخرفة ومنقوشـــة بالصور .

الجناح الغربى

يمتد سوره الخارجى مع الجناح الأوسط ـــ ونصل اليه من باب فى السور الجنوبى الذى يضم أجزاء القصر ، ويؤدى هذا الباب الى فناء مساحته ٧٥×٦٠ مترا ، تشرف عليه واجهة الجناح المتصلة بباقى الواجهات . ويتوسطها باب يوصل الى القاعة الكبرى بالدور الأرضى والى السلم المزوج . وتصميم هذا الجناح يماثل تقريبا تصميم سابقيه، وله واجهة أخرى تطل على مدخل القلعة . وقد طرأ عليه تغيير كبير ، اذ أبدلت سقفه بأخرى حديدية فأزيلت زخارفه الجميلة الأصلية .

وجميع أجزاء القصر تتصل بعضها ببعض . كما أن بفناء كل جناح سور به باب يوصله بالجناح الآخر [1] .

المدارس والادارات الحكومية

يقع الى يمين الساحة التى تتقدم قصر الحـرم مجاز يؤدى الى مجموعة من المبانى التى شيدها محمد على لتكون مقـرا لدواوين الحكومة ومدارسه فى القرن الماضى . فقـد احتـوت على مدارس الهندسة والحربية ، وديوان المدارس ، وغيرها . ومن هذا المجـاز نصل الى مسجد سليمان باشا (سيدى سارية) . ومن جهـة أخرى يمكننا زيارة أبراج القلعة الأيوبية المربعة والمستديرة ، وأسـوارها المنيعة المطلة على جبل المقطم من الشرق .

المتحف الحربى

وفى قصر الحـريم يقوم المتحف الحربى ، وهو من بين المتاحف الهامة فى القاهرة ، فهو معهـد يسجل تاريخ الجيش المصرى منـذ العصور القديمة الى العصر الحديث ، وتطوره فى معـداته وتدريبه

---

(١) حسن عبد الوهاب : مجلة العمارة جـ ٣ و ٤ ، ص ٣٨ — ٤١ .

وتثقيفة ، فضلا عن معاركه الباسلة على مر التاريخ ، فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ..

يرجع التفكير فى انشاء المتحف الحربى الى عام ١٩٢٨ ، ولكنه لم ينفذ الا فى عام ١٩٣٧ ، حينما خصصت غرفتان فى مبنى وزارة الحربية لتجمع فيهما المقتنيات الأولى ولتكوين مكتبة صغيرة ومصنع . وفى مستهل عام ١٩٣٩ اختير مبنى مؤقت (فيلا) بالقرب من كوبرى قصر النيل (التحرير) وفيه تكونت مجموعات السلاح والملابس العسكرية واللوحات والنماذج ، واتسعت المكتبة أيضا .

ولما جلت القوات البريطانية عن قلعة صلاح الدين فى عام ١٩٤٧ ، انتقل المتحف الحربى الى قصر الحرم بالقلعة وكان قد بدىء فى اصلاحه واعداده ليكون لائقا لعرض المحتويات ثم أخذ القائمون بأمر المتحف تحت اشراف العقيد عبد الرحمن زكى بترتيب المجموعات وتنظيم المعروضات بما يليق بالنظم الحديثة المتبعة فى المتاحف وافتتح رسميا فى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٤٩ .

يشغل المتحف الحربى اليوم — الجناح الأوسط والشرقى من قصر الحرم ، وصفت فى حديقته مدافع الهاون والحصون التى صنعت فى مصر واستعملها الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، وتضم بعض المدافع التى اشتركت فى معارك استرجاع السودان (١٨٩٦— ١٨٩٨) .

روعى فى ترتيب معروضات المتحف التسلسل التاريخى والموضوعى .

فالقسم الأول : يعرض فيه التطورات المتعاقبة للمعدات الحربية كالمدفعية والذخيرة بأنواعها ، والأسلحة النارية والبيضاء ، والملابس .

والقسم الثانى : يوضح تاريخ مصر العسكرى منذ عصر الفراعنة الى العصر الحديث .

والقسم الثالث : خصص للسلاح البحرى والسلاح الجوى وبعض أسلحة الجيش .

وتاريخ مصر العـام ، فى الواقع هو تاريخ جيشها منـذ قامت الوحدة بين اقليمى مصر بفضل الملك مينا . وقد أمكن للمتحف أن يبين أحوال الجيش المصرى القديم وتسليحه ومعاركه فى أثناء حكم الأسرات المصرية . ومعروضات هذا القسم تنطق بأمجاد جيش مصر ، فى لوحات ونماذج سجلت عليها انتصاراته فى أهم المعـارك ومنها ؛ مجدو ، وقادش ، وذلك نقلا عن نقوش الآثار فى معابد : الأقصر ، ومدينة هابو وأبو سمبل ، وغيرها .

أما قسم مصر الاسلامية فحافل بأمجاد الجيش ، منذ أن دخلها عمر ابن العاص سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) حتى أيام الحملة الفرنسية سنة١٧٩٨.

ففى المتحف ، لوحات من الجص ، أوضحت أهم معارك الفتوح الاسلامية منذ عصر النبى والخلفاء : معارك بدر ، وأحد ، واليرموك . والى جانبها صنعت نماذج لآلات القتال ، كالمجانيق ، والسيوف ، والسهام .. وفضلا عن ذلك ، فتـوح العرب فى شـمال أفريقيـا ، والأندلس .

ويلاحظ كثرة النماذج التوضيحية فى هذا القسم ، منها حصون القاهرة وأسوارها وأبوابها فى أيام الفواطم ، ونموذج قناطر الميـاه التى أنشأها الناصر محمـد بن قلاوون (٧١٠ هـ — ١٣١٠) التى زودت منطقة القلعة بالمياه من فم الخليج . ونموذج قلعة صلاح الدين بأبراجها ومبانيها ومساجدها . ونموذج دار بن لقمان بالمنصورة ، حيث أمضى الملك الفرنسى لويس التاسع مدة أسره عقب معركة المنصورة (١٢٥٠) . والى جانبها لوحات خشبية جميـلة نقشت عليها بعض المواقف الصليبية . ونشاهد فى هذا القسم عدة لوحات لأهم المعارك

الاسلامية التى خاضها المماليك ضد الصليبيين ، وضد المغول : عين جالوت ، ومرج الصفر ، حتى قضى عليهم فى معركة مرج دابق(١٥١٧).

وهناك فى حجرة صغيرة مجموعة من الصور والخرائط التى توضح أحداث مصر الهامة فى أثناء الحملة الفرنسية (١٧٩٨—١٨٠١) بقيادة نابليون بونابرت ، وكليبر ، ومينو ..

أما القسم الخاص بجيش مصر فى أثناء القرن التاسع عشر ، فحافل بالذكريات المجيدة : انتصارات القوات المسلحة فى معارك لا حصر لها فى شبه الجزيرة العربية ، وبلاد اليونان ، والسودان ، وسوريا ، والأناضول ، وكريت ، وغيرها . كلها معارك تشهد ببطولة الجندى المصرى فى ظروف القتال المنوعة .. فى جبال وسهول ، وصحار ، ووديان ، وبحار . لقد سجل المتحف الحربى تلك الذكريات اللامعة بترتيبها التاريخى ، بأسلوب واضح . وعرضت كذلك أعمال الجيش فى مناطق السودان ، فى شرقة وغربه وجنوبه : فى كوردفان ودارفور وسواحل البحر الأحمر ومناطق خط الاستواء ، وذلك فى عدة معارك نذكر منها : الأبيض ، والمتمة ، وسواكن ، وأم درمان ، وسنكات ، وطوكر .. وترى عدة لوحات زيتية أنيقة لكبار القادة الذين قادوا جيش مصر الى النصر .

وعنى المتحف الحربى بابراز الأحداث العسكرية فى مصر فى أثناء الثورة العرابية (١٨٨٢) فى شتى ميادين المعارك : الاسكندرية ، كفر الدوار ، والتل الكبير . وخلد المتحف أيضا مواقف البطولة النادرة فى لوحات زيتية ، وفى تماثيل نصفية ، ونقوش جصية .

وأهم أقسام المتحف الحديثة ، القسم الذى خصص لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأحداثها ، فى صور وديورامات ، ومنها ديوراما تمثل رحيل الملك فاروق ، وحصار قصر رأس التين ، والمنتزه ، وعابدين .

وفى هذا القسم نشاهد مئات الصور الفوتوغرافية التى تبين التطورات التى لحقت بالقوات المسلحة ، فى أسلحته وعتاده ، وما حققته الثورة من الأعمال الجليلة فى مختلف الميادين ، وفى طليعتها السد العالى .

وعنى المتحف الحربى أيضا بالجانب العسكرى لقضية فلسطين منذ حملة ١٩٤٨/٤٩ ، وحملة سينا فى أعقاب تأميم قناة السويس (١٩٥٦) ومعارك بورسعيد وبلاء شعبها ضد المعتدين .

ويضم المتحف الحربى قاعة خصصت للأعلام العربية والمصرية منذ نشأة العلم ، فضلا عن أعلام دول الجامعة العربية ، والأعلام الرمزية للمحافظات ، ثم أعلام أسلحة القوات المسلحة .

ومن أهم أقسام المتحف : المكتبة التى تضم عدة آلاف من المراجع العربية والأجنبية فى شتى الفنون الحربية والتاريخ الحربى القديم والمعاصر . ويبلغ عدد الكتب قرابة خمسة آلاف مجلد . بالاضافة الى قسم الدوريات العسكرية . أما قسم الخرائط العسكرية فغنى بمجموعته النادرة التى رسمها ضباط أركان حرب الجيش المصرى فى النصف الثانى من القرن ١٩ حتى عام ١٨٨٢ : فى شرق أفريقيا ووسطها، وفى صحارى مصر حتى سواحل المحيط الهندى . وتقرأ على هذه الخرائط أسماء راسميها : محمد عزت ، مصطفى رمزى ، على ذكائى، عبد السلام زكى ، محمد ماهر ، محمد مختار ، عبد الله فوزى ، وأحمد حمدى . ويضم المتحف قاعة أنيقة للعرض السينمى ، الى جانب أقسام الرسم والتصوير ، وقسم النماذج ، وقسم التجارة ، وقسم اصلاح الأسلحة ، وقسم الحياكة ، وقسم التطهير .

ويتبع هذا المتحف عدة متاحف عسكرية أخرى ، من أهمها متحف عابدين الحربى ، ومتحف العلمين ، ومتحف بورسعيد ..

جامع محمد على

بعد أن انتهى محمد على من تشييد القصور ، ودواوين ، الحكم والمدارس ، ودار الضرب فى القلعة ، أصلح أسوارها ، وعمر أبراجها ، ثم أقدم على بناء جامع لأداء الفرائض ، فعهــد الى المهندس التركى يوسف بوشناق بوضع تصميم له . فوقع اختياره على مسجد السلطان أحمد بالآستانة . واقتبس منه مسقطه الأفقى بما فيه الصحن والنافورة مع تعديلات قليلة .

شرع فى بناء الجامع سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) واستمر العمــل سائرا بلا انقطاع حتى توفى محمد على سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل الجامع . وكان بناؤه كاملا ، من أسوار ، وقباب ، ومنارات ، وكتابات تعلو الشبابيك الخارجية .

ولما تولى عباس الأول نهض المهندسون بأعمال النقش والتذهيب ، وبعض أعمال الرخام بالمسجد . ثم أمر بعمل تركيبة رخامية ومقصورة نحاسية ، وقد عنى بالمسجد سعيد باشا . كما أهتم الخديو اسماعيل به ، فعمل له أبوابا حديدية بساعات نحاسية ، وأحاطه بأسوار ، وأنشأ له دورة مياه . ثم عنى به الخديو توفيق باشا سنة ١٨٧٩ م فأمر باصلاح رخام الصحن واعادة رصاص القباب .

وكانت أكبر عناية نالت هذا الجامع عناية الملك فؤاد الأول . فما أن بلغه نبأ الخلل الجسيم الذى تطرق الى سقف الجامع وقبابه ، حتى أصدر أمره بتكوين لجنة من كبار المهندسين ـــ وطنيين وأجانب ـــ لفحصــه ، ووضع مشروع لاصــلاحه ، وكان ذلك فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣١ .

وانتهى الأمر بازلة قبة الجامع الكبيرة ، وما حولها من أنصاف قباب ، وقباب صغيرة ، واعادة بنائها وقد كشفت عملية الاصلاح عيوبا شتى فى البناء ، واستمر العمل حوالى أربعة أعوام انتهت فى سنة ١٩٣٩ ،

وبلغت تكاليف أعمال الهدم والبناء ٦٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ، ونفقات البياض والزخرفة والتزيين ٤٠٫٠٠٠ جنيه .

الجامع مستطيل البناء ، وينقسم الى قسمين : القسم الشرقى معد للصلاة ، وفى الغربى ، الصحن وتتوسطه نافورة للوضوء . ولكل من القسمين بابان أحدهما جنوبى والآخر شمالى .

والقسم الشرقى مربع الشكل ، طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ مترا وارتفاعها ٥٢ مترا من مستوى أرضية المسجد ، محمولة على أربعة عقود كبيرة ، متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة ، يحوطها أربعة أنصاف قباب ، وذلك بالاضافة الى أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد ، وقد كسيت جدر المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة الى ارتفاع ١١ مترا بالرخام المصرى .

ويعلو مدخل الباب الغربى المؤدى الى الصحن دكة المؤذنين بعرض المسجد ، مقامة على ثمانية عمد من الرخام فوقها عقود — ولها سياج من نحاس يتوصل اليها من سلم المنارتين . وبدائرة المسجد من أسفل الشبابيك كتب على أعتابها من الداخل أبيات قصيدة البردة .

والمحراب من الرخام (الألبستر) يجاوره منبر رخامى ، أمر بعمله الملك فاروق ، وبالقرب منه المنبر الخشبى القديم للمسجد .

وفى الركن الغربى القبلى ضريح محمد على ، يتألف من تركيبة رخامية حولها مقصورة من النحاس المذهب ، جمعت بين الزخارف العربية والتركية .

وعلى طرفى الواجهة الغربية للصحن منارتان رشيقتان ، ارتفاعهما ٤٨ مترا من مستوى أرضية الصحن ، بكل منها ٢٥٦ درجة الى نهاية الدورة الثانية .

وتبلغ مساحة الصحن ٥٣×٥٤ مترا ، يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية ، تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ، ومغشاة من الخارج بألواح من الرصاص ، كالقبة الكبيرة . وبدائر الايوانات المذكورة ٤٦ شباكا تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث : البحرية ، والغربية والقبلية .

أما الجهة الشرقية فتشرف على الجامع ، وبها ثمانية شبابيك — ومكتوب على أعتابها آيات من القرآن بالخط الفارسى الجميل بقلم الخطاط المشهور « سنكلاخ » سنة ١٢٦٢ هـ .

وبوسط الصحن قبة أنشئت سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) مقامة على ثمانية عمد من الرخام ، وبداخلها قبة أخرى رخامية مثمنة ، نقش على أضلاعها عناقيد عنب ، وبها طراز مكتوب بالخط الفارسى آية قرآنية .

ويتوسط الرواق الغربى بالصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون بداخله الساعة الدقاقة التى أهديت الى محمد على باشا من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٨٤٥ م . وأمام الواجهتين القبلية والبحرية للقسم الشرقى رواقان بهما عمد رخامية تحمل قبابا صغيرة .

وقد تمت أعمال الاصلاح بالجامع بأداء فريضة الجمعة فيه يوم ٥ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩) .

قصر الجوهرة

يقع هذا القصر جنوبى جامع محمد على . وكان موضعة أبنية قديمة بناها الملك الأشرف قايتباى ، والسلطان الغورى . وقد نسب المؤرخ الجبرتى الى محمد على هدمها ضمن حوادث عام ١٨١٢ . فقد ذكر :

« انه (محمد على) هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من

الأماكن ، فهدم المجالس التى كانت بها ، والدواوين ، وديوان قايتباى، وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش علو الكلار الذى به الأعمدة ، وديوان الغورى الكبير وما اشـــتمل عليه من المجالس التى كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين ، وشرع فى بنائها على وضع آخر واصطلاح رومى ، واقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب . »
والمعروف أن بناء هذا القصر قد تم فيما بين ١٨١٣ و ١٨١٤ .

والمدخل الرئيسى للقصر فى الجهة الشرقية ، أمامه مظلة محمولة على عمد رخامية ، ومكتوب على أعلى الباب « يا مفتح الأبواب افتح لنا خير الباب » سنة ١٢٢٨ هـ . ويفضى هذا الباب الى طرقة كبيرة بها عقودة حجرية ، تنتهى الى سلم فباب كبير مكتوب عليه بالخط الفارسى « الله ولى التوفيق » ١٢٢٩ هـ .

وعلى يسار هذا المدخل أبنية تسودها البساطة ، متصلة بديوان الكتخدا . وبنهايته الشرقية البحرية قاعة العدل ، وهى مستطيلة لهـا سلم مزدوج يوصل الى الميدان الواقع أمام دار الضرب ، ومكتوب على آحد أبواب هذا الجناح « من آمن بالقدر آمن الكدر » ١٢٢٩ هـ .
وكان هذا الجناح مخصصا للموظفين .

وكان قصر الجوهرة مخصصا لاستقبالات محمد على ، وبه قاعة كبيرة عرفت بصالة العرش يتوصل اليها من الباب الأوسط المكتوب عليه « الله ولى التوفيق » ، وحجرة العرش أو الفرمانات أكبر حجرة بالقصر ، بجدرانها بقايا نقوش ، وسقفها على شكل بيضاوى به نقوش مذهبة تمثل آلات حربية وموسيقية ، تتوسطها سرة خشبية مذهبة بها مجموعة من الفواكه ، وهى تشرف على ميدان صلاح الدين .

ويحتوى القصر على عدة غرف كبيرة وصغيرة ، ولها أبواب تصل الى القاعة الكبرى التى نقش على أعتابها صور لسفن الأسـطول .

وعلى أعتاب هذه الغرف نقشت صور سفن حربية . وبالجهة الشرقية يوجد حمام فرشت جدرانه وأراضيه بالرخام المستورد من محاجر بنى سويف ، وبه حوض رخام من قطعة واحدة .

وقد زار محمد على فى هذا القصر كثير من الأعلام المشهورين منهم: الأديب الفرنسى « شاتوبريان » والكونت دى فوربان ، الذى وصف فى كتابه مدينة القاهرة ، كما أنه وصف حفلة استقباله (١٨١٧ — ١٨١٨) فى القصر . ولما زار مصر السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٢ احتفل به الخديو اسماعيل احتفالا كبيرا ، وأقام بهذا القصر سبعة أيام .

متحف قصر الجوهرة

أهم مميزات قصر الجوهرة المعمارية أن طرازه عثمانى ، أدخل الى مصر فى أوائل القرن ١٩ ، ويحتوى على نقوش ذات فروع نباتية ، وأستار ومناظر مقتبسة من الآستانة ، وهى خليط من الزخارف التى انتشرت فى القرن ١٨ — ١٩ والمعروفة بين رجال الفن بالروكوكو .

وقد أعادت مصلحة السياحة تأثيث قصر الجوهرة ليكون متحفا تزوره الجماهير ، وليعطى فكرة عما كان عليه أثاث قصور مصر فى القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر .

ومدخل القصر يتوسط الواجهة البحرية . فاذا ما اجتاز الزائر الباب ومر بدهليز صغير ، وجد الى يمينه قاعة زينت حوائطها بمناظر تركية ، وصفت فيها بعض المقاعد المطعمة بالصدف وغيره ، وفيها لوحة لمحمد على من عمل الفنان زنانيرى عام ١٨٧٠ وقد أثثت ببعض المفروشات الشرقية والأوروبية . ثم ندخل القاعة الثانية وقد صف بالجهة الشمالية منها أثاث شرقى يقابله فى الجهة الجنوبية أثاث فرنسى من الطراز الذى استعمل فى القرن ١٩ . وفى هذه القاعة زهرية من

السيفر الثمين النادر . ويسترعى النظر صور منقوشة على عتبات أبواب هذه القاعة ، وهى تبين قطع الأسطول المصرى .

ندلف الى قاعة الساعات (القاعة الثالثة) وقد سميت بهذا الاسم لاتخاذ الفنان من رسم الساعة وحدة زخرفية تزين جدرانها . ومن أهم محتويات هذه القاعة سجادة من الجوبلان ، وفى صدرها كرسى عثمانى الطراز . ثم تلى القاعة استراحة مؤثثة بأثاث شرقى .

نمر بعد ذلك بصالة الألبستر (المرمر) ونرى فيها نموذجين من الصدف لقبة الصخرة والمسجد الأقصى ، من صناعة القدس . وقد سميت بهذا الاسم لكسوة أرضيتها برخام من الألبستر المصرى ، وقد نظمت بلطافة فى أشكال رائعة ، وحليت أعتاب أبوابها بمناظر الأسطول المصرى ، وصفت فيها خزانات بداخلها زجاج وخزف نفيس من صناعة بوهيميا وكوتاهية .

ويلى ذلك الحمام ، ويعتبر تحفة نادرة ،اذ كسيت جدرانه وغطيت أرضيته بشرائح من المرمر المصرى ، ويزدان سقفه بقطع الزجاج الملون التى تسمح بدخول الضوء ، وهو نموذج للحمامات التركية التى كانت منتشرة فى ذلك العصر . ويشتمل الحمام على حوض من الرخام « الألبستر » غائر فى الأرض ، وبه فجوة بيضاوية الشكل لمناولة المستحم ما يحتاجه .

ثم نصل الى البهو الرئيسى بعد اجتياز ممر مكسو بوزرات من المرمر . وهذا البهو أكبر صالات القصر ، ويقع على يمين الزائر قاعة الفرمانات . وبالطرف الجنوبى من هذا البهوايوان يشرف على منطقة أثرية جميلة مؤثث بأرائك شرقية ، وينتهى البهو من الجهة الشرقية الجنوبية بباب كبير كان المدخل الرئيسى للقصر ، وهو يؤدى الى شرفة لها مظلة محمولة على عمد من الرخام ، وقد كتب على واجهة

هذا الباب بالخط الفارسي الجميل « الله ولى التوفيق سنة ١٢٢٩هـ ». وهو تاريخ انتها البناء (١٨١٤) .

وهناك قاعة الفرمانات التى تطل على القاهرة ، وفى صدرها كرسى العرش الذى كان يجلس عليه محمد على عند استقبال سفراء الدول، أو عند قراءة الفرمانات التى ترد من الآســتانة ، والكرسى ضخم ومذهب ، وله مسندان على هيئة أسدين رابضين ، وقد احتفظ سقف القاعة المنقوشة القديمة .

دار الضرب

تقع هذه الدار شمال شرقى ديوان الكتخدا (قاعة العدل) وشرقى جنوبى جامع محمد على . أنشئت فى عام ١٧٠٩ م ، وظلت باقية الى أن جددها محمد على عام ١٨١٢ ثم أثبت هـــذا التجديد فى لوح رخامى ، على بابها الوسيط ، ونصه :

« جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد على باشا مصر حالا » .

ودار الضرب بناء مستطيل له فناء مكشوف ، أحدقت به حجرات متجاورات يعلوها قباب مبنية بالطوب فتحت بأعلاها مناور ، ويتوسط الفنــاء غرفة بيضــاوية الشكل مقامة بالحجر . ويرى الى الآن بعض الغرف التى كانت بها آلات الضرب .

دار الصناعة

تقع دار الصناعة فى القسم الأسفل من القلعة الذى نصل اليه عن طريق باب العزب . والمعروف أن الصناعة فى مصر كانت محصورة قبل محمد على فى نسيج الكتان والصوف والنجارة والسبك وصناعة الحصر، وما اليها من الصناعات الخفيفة . فلما تولى محمد على بدأ يجمع من

تبقى من أرباب الصنائع ، وحشدهم فى القلعة سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦م) وجمع لهم ما فى المخازن من الخشب والحديد ، فشرعوا فى صنع آلات الحرب ، وصب المدافع وما يلزمها من العجلات والعربات .

ومع انشاء محمد على للصنائع الحديثة ؛ أوفد البعوث من نجباء التلاميذ المصريين الى أوربا لاتقان الصناعات ؛ حتى تستغنى البلاد بهم عن اليد الأجنبية .

أنشأ محمد على فى القسم الأسفل من القلعة دار صناعة كبرى تضم مصانع متنوعة أهمها : مصانع للأسلحة الخفيفة ، ولطرق النحاس، ولصب المدافع ، وسيوف الفرسان ورماحهم ، واللجم والسروج وملحقاتها ، وصناديق الذخيرة ، وغيرها .

وكانت هذه المصانع [1] تمتد من أسفل قصر الناصر بن قلاوون الى باب العزب . وآثارها كانت تشغلها ورش وبعض مخازن مصلحة الأسلحة والمهمات حتى عام ١٩٤٨ .

قبل أن بدء انشاء دور الصناعة بالقلعة كان فى عام ١٨٢٣ ، بيد أن من المؤكد أن أرجاءها قد اتسعت بعد عام ١٨٢٧ . وكان أهم مصانعها وأكثرها نشاطا معمل صب المدافع ، الذى كانت تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة عيار ثمانية أرطال ، وصنعت فيه مدافع الهاون ذات الثمانى بوصات ، ومدافع قطرها ٢٤ بوصة ! .

أشرف على ادارة هذه المصانع اللواء ابراهيم أدهم باشا ، وكان يعمل فيها تسعمائة صانع ، ينتجون شهريا من ٦٠٠ الى ٦٥٠ بندقية ، وقد بلغ تكاليف البندقية الواحدة ١٢ قرشا . وكان لرؤساء الصناع مرتبات ثابتة ، وللعمال أجور يومية .

---

(١) يوجد على باب المسبك القديم اللاصق لورش الخيام لوحة تذكارية من الرخام بها أبيات من الشعر باللغة التركية للشاعر خيرت وتاريخها ١،٢٣٦ هـ (١٨٢٢) .

ولما زار الماريشال « مارمون » دار الصناعة بالقلعة عام ١٨٣٤ أعجب بنظامها وأعمالها وقد قال عنها : « مما أعجز عن توفيته حقه من المدح مصنع الأسلحة الذى يبدع من هذه الأسلحة أكثرها استجماعا لضروب الكمال والاتقان . والمعامل من هذا القبيل فى مصر ثلاثة ؛ زرت منها معمل القلعة باحثا مدققا منتقدا . فرأيت أن الأسلحة التى تصنع قد جمعت وسائل الاتقان المتوفرة فى ما تصنعه معاملنا من نوعها . والنوع الذى يصنع فيها منقول عن الطراز الفرنسى — وجميع الاحتياطات الكفيلة بجودة نوع السلاح تتخذ فى معامل مصر كما تتخذ فى معاملنا سواء — وقد اتبعت فيها طريقة توزيع العمل والمراقبة المتبعة فى معاملنا . فان كل شىء يعمل بالقطعة وفقا للنظام المقرر . وخلاصة القول فان معمل السلاح الذى زرته يناظر أحسن معامل فرنسا وأرقاها نظاما وجودة وأكثرها رعاية لأصول الاقتصاد [١] » .

اسوار القلعة وابراجها وتجديدها

ولما ولى محمد على الحكم وجه عنايته الى احياء القلعة وتجديد مبانيها . وتشهد ثلاث كتابات تاريخية بما تم على أيامه فى أسوار القلعة وأبوابها . وتقابلنا أولى تلك الكتابات فوق باب القلعة المواجه لجامع ابن قلاوون ، وهى باللغة التركية .

ونقرأ الكتابة الثانية على باب قصر الحرم الشرقى بتاريخ سنة ١٢٤٢ هـ .

كما تقابلنا الكتابة الثالثة على باب هذا القصر الغربى وتاريخه ١٢٤٢ أيضا .

وقد اكتشف المؤرخ كازانوفا كتابة باللغة التركية (تاريخها

(١) كلوت بك : لمحة عامة فى مصر ، جـ ٢ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

١٢٤٠ هـ) فوق باب الدرفيل المهدم ، كما كانت حالته فى أواخر القرن التاسع عشر .

والآن وقد أتينا على وصف ما اشتملت عليه قلعة صلاح الدين فى داخلها عبر مراحلها التاريخية ما بين القرن الثامن عشر الى القرن العشرين . فاننى أرجو القارىء الكريم أن يصحبنى الى خارجها ، لنتعرف على أسوارها المنيعة وأبراجها التى شيدت منذ العصر الأيوبى.

ففى سورها الشمالى : يقع الباب الجديد ،وهو مدخلها اليوم ، ويجاوره فى السور الغربى الباب المدرج وهو الباب الأصلى لقلعة الجبل .

ويقع فى السور الشمالى ، شمال شرقى مسجد سارية ، برج الصحراء .

ويطل على الشرق ، ناحية جبل المقطم : برج الحداد ، وبرج الرملة ، وبرج الامام ، وبرج المقوسر ، وبرج المبلط فى الركن الجنوبى الشرقى .

وفى السور الجنوبى : برج المبلط ، برج المطر ، برج الطرفة المربع، برج كركليان المربع ، فبرج المطر المستدير ، وبالقرب منه باب الجبل ، الذى يؤدى الى القسم الجنوبى فى قلعة الجبل حيث تقع دار الضرب وقاعة العدل .

القرن التاسع	قبة الهواء
١١٦٩	وصول صلاح الدين الى مصر .
١١٧٦	بناء القلعة يبدأ فى أيام صلاح الدين .
١١٢٢	صلاح الدين يغادر القاهرة .

١١٨٣	الملك العادل شقيق صلاح الدين يثبت النقش الكتابى للبنــاء .
١١٩٣	وفاة صلاح الدين فى دمشق .
١٢٠٧	السلطان العادل يتمم ويضيف الى بناء القلعة .
١٢١٨	الكامل بن السلطان العادل يشيد الايوان .
١٢٥٠	وفاة شجرة الدر فى القلعة .
١٢٦٠—١٢٧٧	الظاهر بيبرس البندقدارى يشيد قاعة العدل .
١٢٩٣—١٣٤١	الناصر محمد بن قلاوون يشيد الكثير فى القلعة .
١٣٣٥	جامعه والقصر الأبلق .
١٣٤١	وفاته .
١٥٠٠	جنبلاط وأعماله .
١٥٠١	طومان باى .
١٥٢٨	مسجد سيدى سارية (سليمان) .
١٧٥٤	مسجد رضوان كتخدا ـــ باب العزب (السلسلة) .
١٨٠٥—١٨٤٩	مسجد محمد على . قصوره . اضافاته ..
	دار الضرب . دار المحفوظات . الباب الجديد .. الخ.



الفصل الثالث

قبة يعقوب شاه (اثر ٣٠٣)

اذا خرجنا من باب الجبل الى المقطم ، وسرنا بضع خطوات ، لشاهدنا أمامنا بالسفح ، قبة يعقوب شاه المهمندار التى شيدت فى ١٤٩٥/٩٦ . ويعقوب هذا ، ولد حوالى ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م بارزنجان ، وتجول كثيرا حتى انتقل مع عمته الى مصر سنة ١٤٢٩/٨٣٣م . تولى عدة مناصب وألف كتبا فى فن الحرب ، واشتهر بالفروسية ، ثم أنشأ هذه القبة سنة ٩٠١ هـ/١٤٩٥ م تذكارا لانتصار الجيش المصرى فى احدى المعارك ضد العثمانيين وتشتمل القبة على حجر نقش فيه خبر هذا الظفر الذى أحرزه فى أثناء حكم السلطان قايتباى .

مدينة المقطم

واذا أردنا أن نتمتع بمشاهدة بانوراما القاهرة . مدينتنا الخالدة والخلابة وما تحتويه من المعالم الأثرية التى تربط الحاضر بالماضى ، فعلينا أن نقصد مدينة المقطم ، حيث تقل فيها درجة الحرارة عنها فى القاهرة بنحو خمس درجات .

لقد بقى المقطم زمنا طويلا .. قاحلا ومجدبا ، الى أن جاءت حكومة الثورة فانطلقت تعمل جاهدة ، فأيقظته وعملت على تجميله ، وتعمير المنطقة التى تعلو القلعة ، فجعلته ضاحية سكنية . ومن هنا قسمت العمل الى مشاريع ثلاثة : فى هضبة القلعة على ارتفاع ١٦٠ مترا ، وهضبة الأهرام على ارتفاع ٢٠٠ مترا ، وهضبة الزهراء على ارتفاع ١٩٠ مترا . ثم أنجزت مد طريق يوصل من المقطم الى قلب القاهرة ..

وسارعت الحكومة فى مد شبكة أنابيب مياه الشرب ، والمياه العكرة ، وشبكة التيار الكهربى ، والمجارى .. وخطت الطرق والميادين،

وأقامت المنشئات العامة التى لا غنى عنها لازدهار المدينة ، كالكازينوات، والفنادق ، والسينما والمتاجر .. وجدير بالذكر أنه تم نقل كميات كبيرة من الطمى الى الهضبة الأولى لغرس الحدائق والأشـجار ، وسرعان ما أقدم الناس على شراء الأراضى ، وأقاموا البيوت والعمائر الكبيرة والصغيرة ، مما يشهد على حسن الذوق ..

واذا سار العمل بجد ونشاط ، فسوف تتصل المدينـة المقطمية بمدينة نصر بالعباسية ، فمصر الجديدة . وهكذا تنمو القـاهرة من ناحية الشرق ، ويتحول الجبل الى أرض يانعة عامرة .

تلك جولة سريعة فى مدينة المقطم ، نقصد بعـدها زيارة بعض ما يلتصق بالجبل من آثار ومبـان ، قد لا يعرفها كثير من أهـالى القـاهرة .

مشهد الجيوشى (اثر رقم ٣٠٤)

نشاهد فى أقصى يمين الهضبة مشهد الجيوشى الذى شيده أمير الجيوش بدر الجمالى فى عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وبالرغم عن صغره فانه يعتبر من أجل الآثار الفاطمية لاشتماله على مميزات معمارية طريفة ، لعل من أبرزها تلك الدعائم القائمة فى الواجهتين الجنوبية والشمالية بقبابها الصغيرة . ولهذا المشـهد محراب محـلى بالكتابات الكوفية الفريدة بأسلوبها . وامتازت الكتابات الكوفية الموجودة بمربع القبلة أسفل المقرنص بزخرفة حروفها . ويعلو المحراب قبة يكتنفها ايوانان ، وهذه القبة مقرنصة أيضا ومن طاقة واحدة . ومئذنة المشهد تعلوها قبة صغيرة .

قلعة محمد على (أثر رقم ٤٥٥)

ونشاهد بأعلى المقطم قلعة محمد على . شيدت (حوالى ١٨١٠/١١) بالحجر ، وأسوارها متوسطة الارتفاع ، وهى كثيرة الأضلاع . يتوسط واجهتها الغربية باب كبير حفر أمامه خنــدق كان يعبر عليه بوساطة قنطرة متحركة ، وقد حلى عقد هذا الباب بكرانيش حجرية ، وفتح بجانبيه مزاغل صغيرة . ويوجد بفناء القلعة صهريج مياه . أما الفناء فتحيط به عقود ، وحجرات متعرجة خالية من المزاغل .

تكية المغاورى

فى عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) صدرت أوامر الحكومة المصرية بتخصيص تكية السلطان المغاورى بسفح المقطم للطريقة البكتاشية ، وكانت التكية عبارة عن مغارة كبيرة تسمى كهف السودان ، ولا يعلم من أحدث هذه المغارة ، وقيل : ان الأحدث الأندلسى القزاز هو الذى عمل الدرج الذى يصعد عليها ، فى مستهل سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ، وقيل أيضا : ان قوما من السودان هم الذين قاموا بنقر الكهف . ولما آلت التكية الى البكتاشية طهروا المغارة من البدو الذين كانوا يحتلونها، ونظفوها من روث الدواب ، وأعادوا لضريح المغاورى رونقه ، وفرشوه بالطنافس ، وعلقوا الثريات .

وزار الرحالة التركى « أوليا جلبى » هذه المغارة وقال : ان رفاة الشيخ عبد الله المغاورى (١) ونحو أربعين قبرا تحوى عظــام كبار

---

(١) هو الشيخ الزاهد قيغوسز سلطان الذى اشتهر فى مصر باسم الشيخ عبدالله المغاورى وذلك لوجود ضريحه داخل الغار الكبير القائم بسفح المقطم . زار مصر وتزعم شعراء الصوفية . وتعرف على القطب الورع «موسى سلطان» أحد خلفاء مؤسس الطريقة البكتاشية فى مصر . ويقال انه اشترى دارا بشارع باب اللوق وجمع حوله الدراويش والمريدين واخذ يعطى العهود ويقيم حلقات الذكر الى آن توفاه الله فى محرم سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩) ودفن بالمغارة ثم نقل جثمانه الى مقبرة البكتاشية بحى البساتين .

الأولياء فيها . ويشق المغارة طريق ينتهى الى ضريح السلطان المغاورى، والى اليمين ويسار الزائر توجد قبور المشايخ والدراويش والمحبين . وقد نقلت مقبرة البكتاشية الى حى البساتين عـام ١٩٥٦ كما نقلت التكية الى المعادى .

وضريح السلطان المغاورى تحت قبة منحوتة فى الصخر يتوسطها الضريح ، والجدران مغطاة بالرخام الثمين ، والى يمين الضريح يوجد المحراب وهو من الرخام ، وعلى جانبيه لوحتان من ارخام بخط المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعى الخطاط المشهور كتبها سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) ، وعلقت فى وسط القبة ثريا نفسية . وبالضريح شمعدانات مختلفة الأحجام ، وكانت أرضه مفروشة بالسجاجيد .

ازدهرت التكية فى عهـد آخر شيوخها أحمـد سرى دده بابا ، فأنشأ النافورات الجميلة والأبهاء الفاخرة ، وأضاء التكية والحجرات والحدائق والمغارة الكبرى بالأنوار الكهربية ، كما أنه أدخـل اليها الماء فى كل جنباتها ، وزرع الحدائق ، فغدت التكية عروسا للجبل (١) .

يسمى الحى الذى يقع جنوب تكية المغاورى بالأباجية ، ومعظمه مدافن ، وبه سبيل ومدفن سليمان أغا الحنفى (أثر رقم ٣٠٢) .
وفى شرق الأباجية ، نشاهد عدة آثار قديمة ، نقف عندها قليلا . أولهـا :

مشهد أخوة يوسف (الأسباط) ـــ أثر ٣٠١ : ينسب الى القرن السادس ـــ ١٢ م .

بعد مغادرتنا تكية المغاورى ، نقصد مشهد أخوة يوسف بسفح

---

(١) احمد سرى دده بابا : الرسالة الاحمدية فى تاريخ الطريقة البكتاشـية القاهرة ١٩٥٩ . مطبعة عبده واحمد انور .

المقطم . ونلاحظ فيه لوحة نقش عليها بالكوفية «هذا قبر ابراهيم بن اليسع بن العيص من سلالة ابراهيم» . والبناء صغير يشبه قبة الشيخ يونس خارج باب النصر ، فيما عدا عقود نوافذه ومقرنصاته فجميعها مدببة مطولة . يمتاز بثلاثة محاريب فى جدار قبلته ، تجمعها وتحيط بها اطارات زخرفية منقوشة بالكتابة الكوفية ، كما يحيط اطار كوفى آخر بعقد محرابه الأوسط . ويتوج هذه المحاريب الثلاثة عقود منفرجة » (١) .

ويقع جنوب هذا المشهد ، بقايا مسجد اللؤلؤة (٤٠٦هـ–١٠١٦م)، أثر ٥١٥ . ومن المحتمل أنه كان ضريحا ، ويختلف المؤرخون حول تاريخه ، فينسبه بعضهم الى القرن الثالث عشر . وقد ذكر المقريزى أنه كان مسجدا قديما متداعيا ، فجدده الحاكم بأمر الله وعمره وسماه اللؤلؤة وكان ذلك فى عام ٤٠٦ هـ (١٠٥١ م) ويقول المقريزى ان بناءه حسن (جـ ٢ ص ٤٥٦) ، وهو بناء صغير تهدمت أجزاء كثيرة منه ، والقاعة المتبقية عبارة عن مستطيل ، طول جدار القبلة فيه خمسة أمتار تقريبا ، وعرض القاعة ثلاثة أمتار تقريبا ، وبجدار القبلة محراب مجوف ، وقد فتح فى الجدار المقابل ثلاثة أبواب ، الأوسط منها مرتفع، وسقفت القاعة بقبوة اسطوانية ، وقد شيدت الجدران بالحجارة غير المنتظمة . أما القبوة فهى من الآجر ، ويبلغ ارتفاعها ستة أمتار تقريبا . ومما يدهشنى فى هذا البناء أنه كان يعلو هذه القاعة قاعتان شبيهتان بها ، وبكل منها محراب . وهى ظاهرة لم تتبع فى بناء المسجد من قبل أو من بعد (١) .

---

(١) احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها – جـ ١ ، ص ٣٠ – ٣١ .

قبة عمر بن الفارض (أثر ٦٠١)
(٨٦٥ هـ / ١٤٦٠م)

والى جنوب اللؤلؤة ، نشاهد قبة عمر بن الفارض .

توفى الشاعر الصوفى الرقيق عمر بن الفارض فى ٢ جمادى الأولى عام ٦٣٢ هـ (يناير ١٢٣٥) ودفن بالقرافة بسفح المقطم عند مجرى السيل ، تحت المسجد الذى كان معروفا بالعارض . والبقعة مباركة ،بها دفن جماعة من العلماء والأولياء (الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة لابن الزيات ، ص ٢٩٩) . على أن قبر ابن الفارض قد تعاقبت عليه منذ دفن فيه الشاعر طائفة من الظروف حتى انتهى ضريحه الى ما هو عليه اليوم . فقد ظل القبر زمانا طويلا دون حاجز عليه ، حتى كانت أيام السلطان اينال العلائى الأشرف ، فقام رجل تركى اسمه تمر الابراهيمى عتيق الأشرف برسباى لزيارته هو وابنه الأمير برقوق الناصرى (١) عتيق السلطان جقمق العلائى ، وهناك كانا يقيمان بعض الوقت ويتصدقان على الفقراء . وفى عام ٨٦٠ هـ (١٤٥٦) وقف له خادما ، كما جعل السيفى برقوق ناظرا على هذا الوقف (ت ١٤٧٢) ، فأخذ هذا الناظر يقيم به الأوقات حتى ولى قايتباى المحمودى السلطنة، فأقام برقوق نائبا على الشام ، وأقام ولده مقامه . وهذه القبة صغيرة بنيت بالأحجار ، وأقيمت على أربعة عقود مفتوحة .

أما المسجد الحالى فقد أنشأته على جزء من أرض المسجد الأقدم ، المغفور لها الأميرة جميلة فاضل هانم . وقد أدرك المسجد المرحوم على مبارك وقال فى وصفه : « ان على بابه الخارجى لوحا مكتوبا فيه : « هذا مسجد العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

---

(١) هناك رأى يقول بأن الامير برقوق الناصرى هو الذى اقام القبة الحالية (٨٦٥ هـ/١٤٦٠) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

وتفعنا به . أمير اللواء الشريف السلطانى على بك قازدغلى أمير الحاج حالا فى غرة رمضان سـنة ١١٧٣ هـ . وعلى بابه الداخـلى تاريخ سنة ١١٧٣ هـ ، وبه منبر وأربعة أخمدة من الرخام حاملة لبائكتين من الحجر ، وسقفه من الخشب ، وبه قبلتان : احـداهما قديمة يكتنفها عمودان صغيران ، وبداخلها أعمدة صغيرة من الحجر ، وبها آثار شغل قديم من الصدف ، والأخرى جديدة من الحجر . وله مغارة ، وبداخله ضريح سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه » .

وما زالت بقايا مسجد على بك قازدغلى قائمة فى الجهة الشرقية للمسجد الحالى [1] .

وقد أنشأت الأميرة جميلة بجوار المسجد قبة دفن فيها ابنها الأمير جمال الدين (ت ١٨٨٧) .

قبة شاهين الخلوتى (اثر ٢١٢)

ويقع جنوب قبة عمر بن الفارض بسفح المقطم أيضا ، قبة شاهين الخلوتى (٩٤٥ هـ/١٥٣٨ م) .

ويؤيد هذا التاريخ ، لوحة من الرخام فوق باب القبة عليها كتابة ، نصها :

« بسمله .. أنشأ هذا الجامع وأوقفه العبد الفقير الى الله تعالى جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله شاهين الشيخ الخلوتى .. افتتح عام ٩٤٥ هـ » . وهناك كتابة أخرى منقوشة فى داخل القبـة ، ذكر تاريخ تجديدها سنة سبع بعد الألف .. (الخطط التوفيقية ، جـ ٥ ص ٣٠) .

---

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

والآن ، وقد انتهينا من زيارة الآثار التى بسفح المقطم والقريبة من منطقة الأباجية ، نجد أننا قريبون من مقابر المماليك وقرافة عمر بن الفارض ، أو الامام السيوطى حيث بها مسجده وبها حوش قوصون[1].

وقوصون ، المسمى الحوش باسمه ، كان من أكبر الأمراء المقربين الى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، له فى « مقابر المماليك » مسجد وخانقاه وحمام . وتقع الخانقاه فى شمال القرافة تجاه الجامع ، وقد كملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ . أما المسجد فقد كان باقيا حتى زمن الحملة الفرنسية فى مصر ، وبجواره مقام الامام السيوطى الذى يعرف الى اليوم بجامع « قيسون » (قوصون) ، ولكن لم يبق منه الا القبة (أثر رقم ٢٩١) ، وتعرف بقبة أولاد أبى سبحة . وهى قبة حسنة فخمة منقوش بطرازها العلوى من الخارج آيات قرآنية بالخط الجلى ، وفى شماليها المئذنة (أثر ٢٩٠) وهى مثلها فى الحسن والفخامة وعليها نقشت كتابة كالتى على القبة ، ويعد سلمها من آيات الصناعة العربية لأنها بسلمين ملتويين فى جوفها ، يقال اذا صعد فيهما اثنان لا يرى الواحد منهما الآخر ، وموقعها غربى المقام .

وتكلم على مبارك فى خططه عند كلامه على الزوايا (جـ ٦ ص٣٢)، فقال : « زاوية السيوطى عند باب القرافة جهة عرب اليسار وهى عامرة وشعائرها الاسلامية مقامة وبها ضريح العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى صاحب المناقب الشهيرة والتآليف الكثيرة . وعلى باب القبة (الزاوية) تاريخ عمارة جرت فيها سنة ١٢١١ هـ ، ويعمل له مولد كل سنة فى شعبان » .

---

(١) احمد تيمور : قبر الامام السيوطى وتحقيق موضعه . القاهرة ، المطبعة السلفية عام ١٣٤٦ هـ .

ولننتقل بعد ذلك الى الحديث عن آثار تلك المنطقة :

١ ـــ قبة ومنارة وبقايا التربة السلطانية (١) (أثر رقم ٢٨٨ـــ٢٣٨). وهذه تنسب الى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) ، وتتسم بسمات معمارية غير شائعة فى القاهرة ، لكنها من الناحية الأثرية نعتبرها مهمة وطريفة . نشاهد قبابا مزدوجة (قبة خارجية متصلة بأخرى) ، كما نلاحظ كثرة أضلاع القباب التى ترتكز على كوابيل ونلاحظ هذه الظاهرة فى قبة يونس الدوادار التى تقع شمال القلعة (أثر ١٣٩) وقد شيدت عام ١٣٨٢ م وتعتبر أقدم آثار المماليك الشراكسة ، ويظهر أن ضريح أم السلطان (حسن) لم يتم بناؤه ، وذلك لأن اللوحة التى ثبتت فى خارج الضريح لم يكتب فيها اسم السلطانة وتاريخ انشاء الضريح (التربة) .

٢ ـــ منارة الأمير قوصون (أثر ٢٩٠) : هذه المنارة باقية من خانقاه هذا الأمير ، شيدت فى عام ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) وهى مبنية بالحجارة وتمتاز بفخامتها وتناسب أجزائها وخوذتها المخوصة. وهى تشتمل على سلمين فيما بين الدور الأول والثانى ، فلا يرى الصاعد النازل فيها . ولهذا الأمير وكالة جميلة بالقرب من باب النصر ما زالت قائمة ، وبعض ما تبقى من جامعه الكبير بشارع القلعة بالقرب من الحلمية . وبجوار المنارة تقوم قبة قوصون ، أثر ٢٩١) وحولها مقابر ، وتعرف هذه القبة اليوم بقبة أولاد أبى سبحة .

---

(١) نسبة الى أم السلطان حسن .

٣ ــ قبـة على بدر الدين القـراف (أثر ٢٩٢) وتاريخ انشـائها عام ١٣١٠ ، فالمئذنة القبلية (أثر ٢٩٣) .

٤ ــ قبة مصطفى آغا جالق (أثر ٢٩٥) .

٥ ــ قبة الصوابى (أثر ٢٩٦) يرجع بناؤها الى عام ١٢٨٠ وتحتوى على بعض النقوش الرائعة .

٦ ــ قبة الأمير سودون (أثر ٢٩٤) .

٧ ــ ايوان ريحان (أثر ٢٩٧) .

٨ ــ قبة الأمير تنكزبغا (أثر ٢٩٨) . أنشئت حوالى عام ١٣٩٥ . ولم يدفن الأمير المذكور فيها ، بل دفن فى قبة أخرى (أثر٢٩٩) ويبدو طرازها غريبا عن الطراز المألوف فى مصر . فهى مبنية بالحجر ، وقاعدتهـا مربعة ، فتح فى كل من جانبيها الغربى والجنوبى نافذة بداخل صفة مغطاة بمقرنص ، وبالجنب الشمالى باب بداخل صفة ومغطى بمقرنصات . ويعلو المربع مربع آخر ، ثم مثمن يحيط به أفريز كتبت عليه آيات قرآنية ، يعلوه مقرنص من أربع حطات ينتهى بترس مسنن ، ثم القبة المضلعة وبرقبتها ١٦ شباك ، منها ثمانية مفتوحة (١) .

٩ ــ قبة ايوان المنوفى (أثر ٣٠٠) وترجع الى القرن الثالث عشر وتقع على مسافة حوالى مائة متر جنوب قبة تنكزبغا ، ويختلف العالمان الأثريان : كريسويل وفييت فى تاريخ انشائها ، اذ أن الأخير ينسبها الى القرن الرابع عشر .

---

(١) حسن عبد الوهاب : العمارة الاسلامية فى دولة المماليك البحرية ، مجلة العمارة ص ١٦٣ .

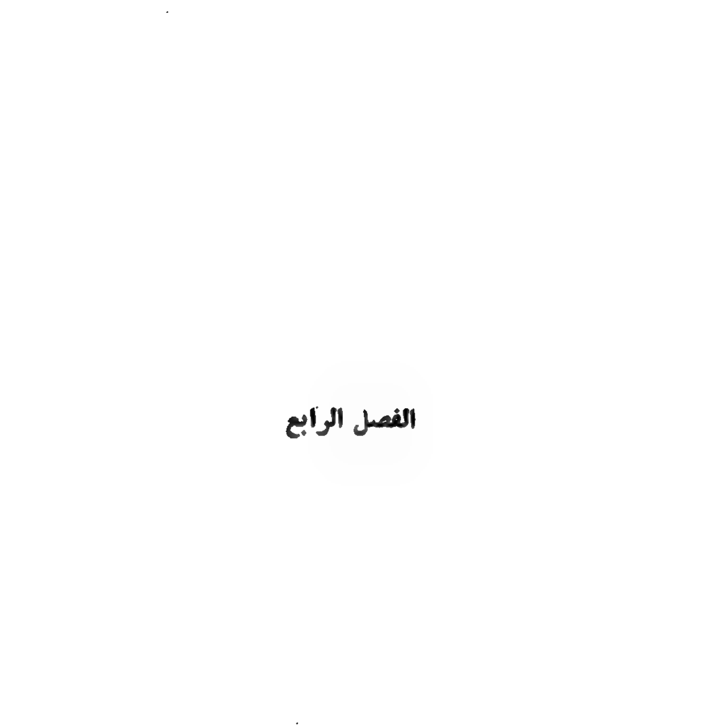
ونجد بالقرب من هذه المجموعة من القباب والمبانى ، وفى جنوب غربى القلعة فى المنطقة التى تعرف بعرب اليسار ، ومجموعة من الآثار. فيلاصق سور القلعة الجنوبى الغربى ما بقى من الساقية التى تصب المياه من المجرى الكبير ، وهى من أعمال الناصر محمد بن قلاوون (أثر ٣٦٩) ، ويتلوها قبة الشيخ عبد الله (أثر ٤١٣) ، وفى جنوبها تقع منارة ومسجد الغورى (أثر ١٥٩) من أعمال السلطان الغورى فى أوائل القرن ١٦ .

وبالقرب من المنارة وفى شارع المسيحية ، يقوم مسجد نور الدين (مسيح باشا) ، (أثر ١٦٠) ، ويعرف بالمسيحية . أنشأه الوزير مسيح باشا الوالى العثمانى (٩٨٣ هـ — ١٥٧٥ م) وقيل أن سبب بنائه ، كما جاء فى كتاب نزهة الناظرين ، انه كان يعتقد فى الشيخ نور الدين القرافى أحد علماء عصره ، واختص بصحبته ، فعمر له هذا المسجد ، ووقف خليه أوقافا جعلها بيد الشيخ نور الدين . وقد شيد المسجد على الأسلوب العثمانى المألوف فى تلك الفترة .

وفى شرق عرب اليسار (جنوب شرقى القلعة) ، نشاهد قبة الأمير فارس الدين أقطاى (أثر ٣٧٠) الذى اغتيل غدرا فى ١٢٥٦/٥٧م . وهذا الأمير واحد من زعماء المماليك البحرية ممن أبلوا بلاء حسنا فى معركة المنصـورة مع الأميرين بيبرس وقطز . تولى قيـادة الجيش المصرى عقب وفاة السلطان الصالح نجم الدين الأيوبى ، وفى أثناء غياب ابنه توران شاه فى حصن كيفا وتولى شجرة الدر الحكم . قتله عز الدين أيبك فى القلعة ليتخلص من منافسته له ، ثم أمر بأن تلقى رأسه من قلعة الجبل على أتباعه ، فدفن فى سفح المقطم تحت القبـة التى شيدت لدفن جثمانه .

وليس بعيدا عن عرب اليسار ، وفى سور القلعة الغربى ، يقوم مسجد الحاج محمد عزت باشا (أثر ٣٧٧) . أنشأه هـذا الوالى العثمانى سنة ١١١١ هـ (١٧٠١ م) بعد مغادرة الوزير اسماعيل باشا . وقد أنشأ أيضا تكية للفقراء ، ورتب لهم ما يكفيهم . ولهذه المسجد منارة عثمانية الطراز .

ونشاهد أمامنا : ضريح الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، فى قلب ميدان صلاح الدين . شيد عام ١٩٤٧ ثم نقلت اليه رفات الزعيم فى فبراير عام ١٩٥٣ فى حفل وطنى حضره نيابة عن رئيس الجمهورية ، السيد الأستاذ فتحى رضوان وزير الارشاد القومى حينذاك . وقد دفن بالضريح الزعيم محمد فريد رئيس الحزب الوطنى ، والأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعى (ت ديسمبر ١٩٦٦) ، وبالضريح مكتبة، وبعض مخلفات الزعماء الوطنيين . فهلموا بنا الى زيارة ضريح مصطفى كامل .



الفصل الرابع

يتفرع من ميدان صلاح الدين من الجنوب الغربى شارع السيدة عائشة ، فميدان السيدة عائشة ، وفى امتداده شارع الفتح ، فشارع القادرية ، وعلى امتداد هذا الشارع يبدأ شارع الأمام الشافعى الذى ينتهى بمسجده وضريحه . وهـــذه الشوارع جميعها عامرة بالمساجد والمشاهد والقباب الجليلة التى يقابلها الزائر على يمينه وعلى يساره . ولذلك نعتبر هـــذه الجولة من أهم جولاتنا فى حى قلعة صلاح الدين .

مسجد قانصوه الغورى (أثر ١٤٨) :

يقابلنا الى اليسار والى الداخل قليلا ، مسجد قانصوه الغورى. بدأ فى انشائه الطواشى مختص كبير السعاة فى دولة الظاهر قانصوه أبى سعيد فى عام ١٥٠٣ . ولما ولى الملك قانصوه الغورى أمر بالقبض عليه ، وصادر أمواله ثم هدم مابنى فيه وأمر بتوسيعه ، وقام ببنائه من جديد واحتفل بافتتاحه (١٥٠٣) ، وخلع على اينال شاد العمائر وانعم عليه ، كما خلع على المهندسين وكافأ الصناع . ويعتبر المسجد من روائع عصر المماليك الجراكسة . وللمسجد ثلاث واجهات .

وبعد مسيرة قليلة ، تقابلنا الى اليسار منـــارة قانيباى الجركسى (أثر ١٥٤) .

ثم نشاهد الى اليسار زاوية مصطفى باشا (أثر ١٥٥) .

واذا سرنا قليلا ، التقينـــا الى اليمين بمسجد الســـيدة عائشة (أثر ٣٧٨) .

مسجد السيدة عائشة

السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر ، جاءت الى مصر ، وتوفيت سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) . وقد أنشأ هذا المسجد الجليل ، الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٦ هـ (١٧٦٢ م) . كما جدد عدة مساجد أخرى ، منها المسجد الحسينى ، ومساجد : السيدة زينب ، والسيدة سكينة ، والسيدة نفيسة ، وغيرها من المزارات والمساجد الكبيرة (١) .

ووصف المسجد كتبه العلامة المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب فى كتابه المعروف (٢) :

« لهذا المسجد وجهة غربية اشتملت على بابين تقوم بينهما المئذنة ، والباقى منها دورتها الأولى ، وقد كتب على عقب الباب الشمالى مانصه :

مسجد أساسه التقى فتراه كبدور تهدى بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أرخوه تتلالا بحبه الأنوار

ومن هذا الباب نصل الى داخل المسجد ، وقد عمر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ، أما الباب الثانى فتوجد على يساره المئذنة . وهذا الباب يؤدى الى طرقة على يسارها ، باب له عقد تحيط به كرانيش متعرجة يؤدى الى المسجد ، وبصدرها باب القبة وقد كتب عليه :

لعائشة نور مضىء وبهجة وقبتها فيها الدعاء يجاب

وتتوسط هذه القبة مقصورة خشبية حول القبر .

(١) عبد الرحمن الجبرتى : ج ٢ ص ٦ .
(٢) المساجد الاثرية : ص ٢٤٤ - ٢٤٧ .

وقد أصلح مسجد السيدة عائشة فى عام ١٩٤٠ ، وأهم ماتناولته أعمال الاصـــلاح : الأبواب ، ودكة المبلغ ، والمنبر ، ونقش السقف وزخرفتها .

واذا انتهينا من زيارة هذا المسجد الجليل ، نقصد باب قايتباى (أثر ٢٧٨) ، الى اليمين وعليه نقش باسم هذا السلطان البنـاء ، ويقع بالقرب منه مدفن تمرباى الحسينى (أثر ١٦١) .

وفى هذا المكان ينتهى شارع الفتح ويبدأ شارع القادرية .

وأول ما يقابلنا فى هذا الشـارع الى اليمين : مدفن جانى بك (نائب جدة) (أثر ١٧١) ، وبعده زاوية مصطفى باشا (أثر ٢٧٩) ، ثم زاوية زين الدين يوسف (أثر ١٧٢) .

زاوية زين الدين يوسف (أثر ١٧٢)

تقوم هذه الزاوية الجليلة فى شارع القادرية والى اليمين قبل ابتداء شارع الامام الشافعى . أنشئت سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) على قبر الشيخ زين الدين يوسف ، ويتصل نسبه بأحد أقطاب الزيدية ، وقد توفاه الله يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ٦٩٧ هـ .

لهذه الزاوية واجهتان مشيدتان بالحجر ، احداهما : الشرقية فى نهايتها الشمالية باب له مقرنصات جميلة ، ثبت عليه لوح من الرخـام كتب فيه نسب زين الدين ، وتاريخ وفاته ، وبناء القبة ، وبها أربع نوافذ تنوعت عقودها ومقرنصاتها . والواجهة الثانية الجنوبية بنهايتها الغربية القبة . وتتكون من خمس فتحات توجت نهاية أربع منها بعقود على هيئة مروحة بها مقرنصات ، وبثلاث منها نوافذ صغيرة فى أعتابهـا بعض الزخارف والكتابات.. أما الباب الرئيسى فيؤدى الى دركاة مربعة بصدرها صفة على يمينها ويسارها عقدان مثلثان ، الأيسر منهمـا

يوصل الى دركاة معقوده مصلبة يتوصل منها الى الايوان الشمالى للزاوية ، والى الصحن المستطيل الذى تحيط به أربعة أيوانات معقودة تفاوتت مقاساتها . ويحيط بجدران هذه الايوانات مع الصحن افريز جصى حلى بكتابات تتخللها نقوش نباتية ، وتتوسطها دوائر على هيئة عش النحـــل تنوعت أشكالها . أما فتحة الايوان الجنوبى الشرقى فترتكز على عمودين ، بصـــدره محراب منحرف من الجص حافل بالزخارف والكتابات ، وبالجهة الشرقية لهذا الايوان ايوان آخــر صغير .

وفى الركن الغربى الجنوبى — القبة وهى من القباب الهــامة ، بنيت قاعدتها بالحجر ، وانتهت بشرفة مسننه ، وبابها مغشى بالرخام سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) ، وقد كسيت جدرانها بوزرة رخامية ، ومقرنص هذه القبة مؤلف من ثلاث حطات جميعها منقوشة ، وبهــا كتابات كوفية ، وبرقبة القبة من الداخل والخارج كتابات نسخية .

وهذه القبة مضلعة من الخارج والداخل ، وقد أحيطت قاعدتها بزخارف . وهذا النوع من القباب يعتبر أول تطور استحدث بالقبة ، ويعتبر أيضا من أغنى الأنواع المحلاة بالزخارف (١) .

فاذا انتهينا من زيارة هذه الزاوية الجليلة ، سرنا قليلا الى شارع الامام الشافعى . ولكن قبل زيارتنا لآثار هذا الشارع المؤدى الى قرافة الامام الشافعى ، سنتحدث عن أهم القرافات وآثارها فى تلك المنطقة ، ومتى نشأت .

---

(١) حسن عبد الوهاب : مجلة العمارة — العمارة الاسلامية فى دولة المماليك البحرية . ص ٩٢٦ — ٢٩٨ . انظر ايضا احمد تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، ص ٢٩ — ٣٥ .

قرافات جنوب القاهرة

كان المعروف باسم القرافة من الجبانات المصرية اثنتين هامتين : القرافة الكبرى ، والقرافة الصغرى ، سميتا بذلك لأنهما كانتا فى الأصل خطتين لقوم من اليمن يقال لهم بنو قرافة . فلما حدثت فيهما المقابر بقيتا معروفتين بهذا الاسم ، ثم سميت كل جبانة بمصر قرافة بعد ذلك . أما القرافة الكبرى فحدثت منذ الفتح الاسلامى ، وكانت شرقى مدينة الفسطاط بجوار المساكن . ولما بنى الملك الكامل الأيوبى ، القبة على مقام الامام الشافعى رضى الله عنه ، ودفن ابنه بجواره عام ٦٠٨ هـ (١٢١١م) ، أقبل الأهالى على البناء فيما حول هذا المقام الجليل ، وأنشئت هناك الترب ، وفعرفت بالقرافة الصغرى ، وبقرافة الامام الشافعى ، وامتدت فى سفح المقطم ، وتلاشى أمر الكبرى منذ ذلك الحين . وقد كثر العمران وامتد بالصغرى حتى أصبحت أعرف الجبانات باسم القرافة .

وممن دفنوا بهذه القرافة وبقيت تربهم الى اليوم بالقرب من ضريح الشافعى (أثر ٢٨١) : تربة المزنى من تلامذة الشافعى ، والعجمى ، وشهاب الطوسى ، وغيرهم كثيرون .

وتقع قرافة السيدة نفيسة فى جنوب غرب القلعة ، ويخترقها اليوم شارع قناطر المياه الذى يمتد من فم الخليج (شارع قصر العينى) وينتهى بشارع الفتح عند باب قايتباى . وبهذه القرافة مشهد السيدة نفيسة ، ومجموعة من القباب والأضرحة التاريخية . وهناك مقابر المماليك — وبها قرافة الامام السيوطى — تمتد جنوب القلعة وعرب اليسار ، وتحتوى على طائفة من الآثار المملوكية . وتتصل هذه القرافة بجبانة سيدى عمر بن الفارض ، وبها ضريحه .

والى الجنوب من قرافة السيدة نفيسة ، قرافة الامام الشافعى

أكبر قرافات القاهرة . وتتصل بها جبانة الامام الليث وبها ضريه ، ومسجد سيدى عقبة ، وقبة « ذو النون المصرى » . وتتصل بها من الشرق جبانة التونسى ، وهى حديثة .

والى الشرق من قرافة الامام الشافعى جبانتان صغيرتان : جبانة سيدى الشاطبى ، وجبانة سيدى « أبو الوفا » حيث مسجد السادات الوفائية ،ومقام ابن عطاء الله الاسكندرى ، ومقام ابن دقيق العيد ، والكمال بن الهمام ، وغيرها .

ويقابلنا فى قرافة السيدة نفيسة عـدة أضرحة وقباب مباركة ، وسنذكر أهمها لمن يتسع وقته لزيارتها :

١ ـــ مسجد بدر الدين الوفائى (أثر ١٦٣) فى نهاية الشـــارع المسمى بهذا الاســـم . وبه ضريح الشـــيخ بدر الدين ، وله ميضأته ، وسبيل ، ومنارة .

٢ ـــ قبة أم الصالح (أثر ٢٧٤) بشارع الأشرف ، وتعرف أيضا بتربة فاطمة خاتون زوجـــة السلطان قلاوون فى عام ١٢٨٣ ويشمل الضريح دركاة يتلوها حجرة لها باب ويعلوه مئذنة غريبة الطراز ؛ تشبه برج الناقوس فى الكنيسة ، وبجـــدارها فتحات (نوافذ) تعلوها عقود محدبة مزخرفة جميلة .

٣ ـــ قبة الأشرف خليل (أثر ٢٧٥) بشارع الأشرف جنوب قبة أم الصالح ، وهى فى حالة خربة . بناها السلطان الأشرف خليل عام ١٢٨٨ قبل اعتلائه العرش بعامين . شيدت بالدبش فى جزئها السفلى . أما القبة فمبنية بالآجر كقاعدتها المثمنة . وفى كل ضلع من أضلاع القاعدة ، حنية ترتكز على عمودين صغيرين بها فتحة وتعلوها فتحة أخرى مستديرة . أما القبة ذاتها فتدعمها ثمانى دعامات .

٤ ـ قبة موفق الدين (أثر ٤١٨) بقرافة السيدة نفيسة : كانت مغطاة بالزخارف الجصية ، وقد انخفض بابها تحت مستوى سطح الأرض . مقرنصاتها الفارسية جميلة ، وتنسب مبانيها الآجرية الى العصر الفاطمى (القرن ١١) .

٥ ـ قبة الخلفاء العباسيين (أثر ٢٧٦) خلف المشـهد النفيسى . تنسب الى القرن الثالث عشر وليس بها كتابة نستدل منها على تاريخ بنائها . ولكن يوجد على شاهد احـدى المقابر الموجودة فيها تاريخ وفاة أحد مبعوثى الخليفة البندارى وهو عام ١٢٤٢ . وقد تكلم عن هذه القبة بعض مؤلفى كتب المزارات فى القرن ١٤ . وبداخل القبة مجموعة من الترب التى تحتوى على رفاة من توفوا من سلالة الخلفاء فى مصر ، وأولاد الظاهر بيبرس ، وبواجهـه القبة عقد فارسى وثلاث حنيات تزينها الزخارف الجصية ، وتعلوها زخرفتان ورديتا الشكل بالأسلوب الذى عرف فى بناء الأضرحة فى نهاية العصر الأيوبى ، وتعددت فى القبة حطات المقرنصات .

وتتناثر فى أنحاء قرافة السيدة نفيسة التى تمتد شمال وجنوب قناطر مجرى المياه ، المبانى التاريخية الآتية :

٦ ـ تربة آمنة قادن (١١٧ هـ ـ ١٧٠٥ م) . أثر ٣٩٣ .

٧ ـ تربة رضوان بك (١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٩ م) . أثر ٣٨٣ .

٨ ـ تربة عثمان بك القازدغلى (١١٨٠ هـ ـ ١٧٦٦ م) . أثر ٢٧١.

٩ ـ مدافن السادات المالكية [1] (القرن الثامن الهجرى ـ القرن ١٤ م) . آثر ٥٦٠ .

---

(١) تضم هذه المدافن مقابر ثلاثة من تلاميذ الامام مالك ، وهم : أشهب (ت٢٠٤هـ) وابن القاسم (ت ١٩١ هـ) ، وأصبغ (ت ٢٢٥ هـ) .

١٠ ــ حوش عثمان بك أبو سيف السنارى (١٦٦ هـ ــ ١٧٥٣ م) أثر ٣٩٠ .

١١ ــ قبة رقية دودو بنت بدوية جاهين (١١٧١ هـ ــ ١٧٥٧ م) . أثر ٣٨٨ .

١٢ ــ قبة مصطفى بك شاهين (١١٦٦ هـ ــ ١٧٥٣ م) . أثر ٣٨٨ .

١٣ ــ مسجد السيدة نفيسة (ت ١٤٦ هـ) .

والسيدة نفيسة بنت أبى محمد الحسن الأنور ؛ من دوحة النبوة ، ولدت بمكة المكرمة عام ١٤٥ هـ ، وتزوجت المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق (شقيق السيدة عائشة) ، وهاجرت معه الى مصر فأقامت بها منذ عام ١٩٣ هـ . وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ، ولما توفى الامام الشافعى صلت عليه . وكانت على علم غزير ، وشغفه بالحديث النبوى، وقد سمع عنها الحديث كثير من علماء مصر ، وسمع منها ذو النون المصرى ، والبويطى والربيعان المرادى ، والجيزى ، وسواهم . وتوفيت فى رمضان عام ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) ، وكان زوجها على عزم أن ينقل جثمانها الطاهر فيدفنه بالمدينة ، فسأله أهل مصر أن يدفنه عندهم [١] . فدفنت بمنزلها بدرب السباع ، بين القطائع والعسكر .

صفة مسجد السيدة نفيسه

أمر بانشائه الملك الناصر محمــد بن قلاوون ، فعمر فى شــهور سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) وولى خطابته علاء الدين محمد بن نصر الله ، وكانت أول خطبه فيه يوم الجمعة الثامن من صفر السنة المذكورة . وقيل ان أول من بنى على قبر السيدة بفيسة ، عبيد الله بن السرى بن

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجى : التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر ص ٣٦ ــ ٣٧ . القاهرة .

الحكم أمير مصر . وكتب فى اللوح الرخامى الذى على باب ضريحها « نصر من الله وفتح قريب بعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين .. » . وقد عمر الأمير عبد الرحمن كتخدا المشهد النفيسى ومسجده ، وبنى الضريح ، وذلك فى سنة ١١٧٣ هـ ، (١٦٧٠م). ويدخل الى المسجد من طرقة ، وعن يمين الداخل فى تلك الطرقة مطهرة المسجد ، وفى نهايتها بابان ، أحدهما يدخل منه الى الضريح ، ومن الآخر الى المسجد ويدخل منه الى طرقة الشريف وحائط القبة من الأسفل مكسوة بالرخام والقاشانى ، وفى أعلاها آيات قرآنية ، وفيها قبلة بالرخام والقاشانى ، وأخرى من الخشب . وتجاه الباب الكبير باب للمسجد يصعد اليه بسلالم من الرخام . وقد جدد الوالى عباس الأول ـــ المقصورة وبعض الأبواب . وللمسجد باب آخر فى الحائط التى تقع عن شمال القبلة ، وخارجه طرقة تنتهى بضريح الست جوهرة.

وفى عام ١٨٩٢ ، أتلف حريق قسما كبيرا من المسجد ، فأمر الخديو عباس الثانى باعادة بنائه ؛ والضريح ، وتم ذلك فى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٧) ، وهو المسجد القائم الآن .

ومن الطرائف الأثرية التى نقلت من مشهد السيدة نفيسة ، ذلك المحراب الخشبى المتنقل الذى صنع للمشهد بين سنتى ٥٣٢ـــ٥٤١ هـ (١١٣٧ ـــ ١١٤٧ م) والمودع الآن بمتحف الفن الاسلامى مع محرابين خشبيين آخرين ؛ صنع أحدهما للأزهر ، والثانى لمشهد السيدة رقيــة .

وفى نهاية شارع السيدة نفيسة ، وشمال غرب ضريح الامام الشافعى ، تقابلنا تربتا على بك الكبير ، واسماعيل بك الكبير (١٧٧٣م) (أثر ٣٨٥) . والأولى مقبرة عادية من الرخام حفرت عليها النقوش والكتابات بخط جميل . ومن تلك الكلمات :

١ ــ نقوش وجه الشاهد الأمامى ، « لا اله الا الله محمد رسول الله، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، انا لله وانا اليه راجعون » .

٢ ــ ظهر الشاهد الامامى ، « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وتحتها اسم « على » مزدوجا .

٣ ــ واجهة الشاهد الخلفى : نقش يشتمل على عبارة طويلة وتحتها عام ١١٨٧ هـ وهو العام الذى توفى فيه على بك الكبير .

ويرجح أن « أبو الذهب » هو الذى أقام المقبرة ووافق على نقوشها وكتاباتها .

ويقع جنوب التربة المذكورة : حوش الباشا ، وهو مدفن بعض أفراد الأسرة المالكة (سابقا) . وأهمها تربة ابراهيم باشا القائد المحنك .



الفصل الخامس

ضريح الامام الشافعي

نحن الآن فى أول شارع الامام الشافعى ، وأول ما يقابلنا على اليمين ، قبة عبد الله الدكرورى (أثر ٢٨٠) ، وبعد سير مسافة طويلة تقابلنا الى اليسار تربة المزنى (أثر ٦٢٢) ثم نصل الى المشهد الجليل مسجد وضريح الامام الشافعى رضى الله عنه .

ولد الشافعى فى رجب سنة ١٥٠ هـ بغزة ، ولما بلغ من العمر تسع سنين كان قد أتم حفظ القرآن كله ، ثم جالس العلماء فى المسجد الحرام ليحفظ الحديث وعلوم القرآن وغيرها ، وعرف بقوة الذاكرة والذكاء المفرط . وبعد أعوام قصد المدينة حيث اتصل بالامام مالك ، وقرأ عليه الموطأ فى أيام يسيرة وحفظه ، ثم رحل الى الكوفة وساح فى فارس وما حولها ، وسافر الى ديار ربيعة ومضر ، ومنها رحل الى شمال العراق حتى وصل الى جنوب بلاد الروم ، وعرج على حران ، ثم سافر منها الى فلسطين وأقام فى الرملة أياما ، ثم قصد ثانية المدينة المنورة حيث قابل للمرة الثانية الامام مالك .

رحل الشافعى الى اليمن وتزوج وكان مثلا أعلى للحياة الزوجية . وهناك علت مكانته ، وارتفع قدره فى العلوم . ثم سافر الى بغداد حيث اتسعت حلقة طلابه ، فأوغر بذلك صدور بعض علماء العراق ، وبالرغم من ذلك كان موضع اكرام الخليفة والأمراء ، والعلماء وعلى رأسهم الامام ابن حنبل . وفى تلك الفترة أتم الشافعى تأليف كتابه « الزعفران » .

عاد الشافعى الى مكة : وأقام فيها سبع عشرة سنة يعلم الناس وينشر مذهبه ، الى أن تاقت نفسه الى بغداد ، فعاد اليها وأقام بها مدة

قصيرة ، حتى رأى السفر الى مصر مع العباس بن موسى والى مصر الجديد ، فخرج أهل بغداد لوداعه وفى مقدمتهم أحمد بن حنبل ، فمسك الشافعى بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :

لقــد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر
ومن دونهــا أرض المهــامه والقفــر

ووالله لا أدرى أللعــز والغنى
أســاق اليهــا أم أســاق الى القبر

وفى ٢٨ من شوال سنة ٢٩٨ هـ دخل الشافعى مصر مع العباس بن موسى ، ونزل عند أهله من الأزد ، ثم ابتدأ فى القاء دروسه بجامع عمرو بن العاص ، فنبغ على يديه كثير من المصريين والمصريات . وفى مصر وضع الشافعى كتبه الجديدة ، وكانت قرابة عشرين كتابا ، منها كتاب « الأم » ، « الاملاء الصغير » ، « الأمالى الكبرى » ، « مختصر الربيع » ، « مختصر المزنى » ، « مختصر البويطى » ، « علم أصول الفقــه » .

أقام الشافعى فى مصر خمس سنين وتسعة أشهر يعلم النــاس ، ويؤلف كتبه ،وينشر مذهبه بين الناس . وفى نهاية تلك المدة أصيب بمرض البواسير ، ولما اشتد عليه غالبه الموت ، فتوفى ليلة الجمعة الأخيرة من رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩) بعد العشاء .. ودفن بتربة أولاد ابن عبد الحكم ، وعرفت بعد دفنه بتربة الشافعى . وقيل ان أهل مصر لازموا زيارة قبر الشافعى أربعين يوما بلياليها ، وكان الزائر لا يصل الى القبر الا بشق النفس من كثرة الزحام .

ولما آل ملك مصر الى صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٧ هـ أمر ببناء مدرسة لتدريس مذهب الشافعى بجوار قبره ، فبنيت المدرسة الصلاحية ورتب لها الأساتذة . وفى عام ٥٧٤ هـ (١١٧٨م) كان الفراغ

من عمل التابوت الخشبى الذى يعلو تربة الشافعى ، وصنع هذه التابوت من خشب الساج الهندى المقسم الى حشوات هندسية منقوشة نقشا غاية فى الاتقان . وكتب عليه آيات قرآنية ، وترجمة حياة الشافعى، واسم الصانع الذى قام بعمله ؛ بالخطين الكوفى والنسخ الأيوبى .

وفى صفر سنة ٦٠٨ هـ (أغسطس ١٢١١م) توفيت والدة الملك الكامل بن العادل ، فدفنت بجوار من تقدمها من الأسرة الأيوبية ، ولذلك شيد ولدها الكامل هذه القبة [١] التى ضمت الى قبر الشافعى قبر أولاد بن عبد الحكم والأسرة الأيوبية . وقد أجريت بعد ذلك فى القبة عدة اصلاحات أهمها : عمارة السلطان قايتباى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠م) وكان منها تصحيح اتجاه المحراب . ثم قام السلطان الغورى فيما بعد ببعض الاصلاحات .

وفى سنة ١١٧٥ هـ قام الأمير عبد الرحمن كتخدا ببناء مسجد الشافعى على أنقاض المدرسة الصلاحية لأنها كانت قد خربت ، فشيد المسجد ، وجعله له ميضأة على شكل مثمن . فلما جاء الأمير على بك الكبير أبدل هذه الميضأة (١١٨٧) بأخرى مستطيلة الشكل ، وغير رصاص القبة ، ونقشها باللازورد ، وموهها بالذهب . ثم أوصلت المياه العذبة الى المسجد (١٢٣٠) .

وفى عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦) تشعثت جدران المسجد الذى شيده عبد الرحمن ، فأمر الخديو محمد توفيق بتجديده وتوسيعه ، واحتفل بوضع الحجر الأساسى فى احتفال مشهود .. وكان آخر الاصلاحات التى تمت بالمسجد ما قامت به ادارة حفظ الآثار العربية فى سنة ١٩٣٤.

صفة الضريح

تبلغ مساحة الضريح من الداخل ١٥×١٥ مترا تقريبا ، وبجداره

---

(١) تعتبر أقدم الابنية الدينية التى بناها الايوبيون فى القاهرة .

الشرقى ثلاثة محاريب غلفت تجاويفها باطارات من الرخام الملون ، كما غلفت طواقيها بالخشب المنقوش ، ثم محراب صغير أحدث لتصويب اتجاه القبلة ، وتكسو الحوائط الداخلية وزرة من الرخـام الملون يتخللها ثلاث لوحات رخامية ، تشير اثنتان منها الى تجديد الغورى ، وتنتهى بافريز من الخشب المحفور بزخارف بارزة ، وتعلوه منطقة منقوشة ومذهبة من عمل الأمير على الكبير سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) ، ثم طراز خشبى عليه كتابة يتخللها زخارف نباتية ، ويبرز منه ثمانية كوابيل خشبية محفور عليه كتابة كوفية أيضا ، وتحمل هذه الكوابيل ثمانى كمرات مزخرفة تكون اطارا مثمنا لتعليق القناديل . ويعلو ذلك أركان القبة المشتمل كل منها على ثلاث حطات من المقرنص المنقوش بحصر بينها شبابيك من الجص المفرغ المحلى بالزجاج الملون . وبوسط الضريح تابوت وضع على قبر الامام الشافعى . ويجاور هذا التابوت تابوت آخر لا يقل أهمية عنه ، حلى بالزخارف الجميلة ، وهو تابوت والدة الكامل ،وتاريخ وفاتها .

ويتوصل الى داخل الضريح من باب مفتوح بالجدار الشمالى حلى مصراعاه بزخارف محفورة فى الخشب ، وكتب عليه أبيات من الشعر وتاريخ الانشاء سنة ٦٠٨ هـ .

وتتألف حوائط الضريح من الخارج من طبقتين : الطبقة السفلية بارتفاع ١١ مترا تقريبا ، تحيط بها عصابة نصف دائرية يعلوها شباك معقود ، يتوسط كل واجهة من وجهات هذه الطبقة على يمينه ويساره صفتان معقودتان ، وتنتهى هذه الطبقة بشرفة على هيئة أشكال هندسية مضفرة . أما الطبقة العلوية فقـد ارتدت عن السفلية بمقـدار ٧٠ سنتيمترا تقريبا مكونة ممرا خلف الشرفة المذكورة آنفا . ويحـلى وجهات هذه الطبقة صفف مخوصة ، بينها دوائر ومعينات مزخرفة ، يعلوها افريز على هيئة أشكال هندسية ثم شرفات مسننة أوجههـا مزخرفة .

أما القبة فمصنوعة من الخشب المصفح بألواح من الرصاص ، وركب بأعلاها قارب من النحاس ويبرز منه هلال [1] .

والآن وقد تبركنا بزيارة قبة الامام الجليل الشافعى ، نتجه الى الجنوب من المسجد ، لنشاهد عدة آثار بين المقابر ، نذكر منها :

- سبيل وكتاب ومدفن رضوان أغا الرزاز ٣٨٧ ١١٦٨ هـ – ١٧٥٤
- قبة الحصواتى ٣١٥ منتصف القرن السادس الهجرى / منتصف القرن الثانى عشر الميلادى
- باب وايوان الثعالبة ٢٨٢ ٦١٣ هـ – ١٢١٦ م
- قبة السيد يحيى الشبيه ٢٨٥ ح ٥٣٠ هـ ١١٣٥ م
- قبة القاسم الطيب ٢٨٤ منتصف القرن ٦ الهجرى / منتصف القرن ١٢ الميلادى
- مشهد السيدة كلثوم ٥١٦ ٥١٦ هـ – ١١٢٢ م

وفى أقصى الشرق من قرافة الامام الشافعى وسكة حديد خط المحاجر الصحراوى توجد قباب ومساجد بعض أعلام المتصوفين

- قبة القاضى الفاضل الشاطبى ٦٠٧ ١٢١٧ هـ – ١٨٠٢
- مسجد السادات الوفائية ٦٠٨ جدد ١١٩٩ هـ – ١٧٨٤
- مقام ابن عطاء الله الاسكندرى
- مقام ابن دقيق العيد المحدث
- مقام محمد بن سيد الناس
- مقام عبد الله بن أبى حمزة
- مقام الكمال بن الهمام التونسى
- مقام أبو المواهب التونسى

وفى غرب قرافة الامام الشافعى :

- مشهد آل طباطبا ٥٦٣ ٣٣٤ هـ – ٩٤٣ م

---

(١) مساجد مصر : وزارة الاوقاف ، ص ٢٧ – ٢٨ .

حمامات عين الصيرة

أما حمامات عين الصيرة ، فقد استشفى بمياهها أهالى القاهرة منذ خمسمائة سنة ، ولذلك أكتسبت شـهرة فى علاج كثير من الأمراض الجلدية والمستعصية ، وتغص بالرواد فى يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع ، وقد أبثتت التجارب أمياه عين الصيرة والطمى الموجود فيها علاج لأمراض الأكزيما والروماتزم والجرب والصـدفية ، وأمراض الحساسية . وفى الأعوام الأخيرة شيدة بالقرب منها منفقة سـكنية ، وأقيمت فيها المدارس والأسواق والجمعيات التعاونية والحدائق .

مسجد الامام الليثى

بعد أن انتقل الامام الليثى الى رحمة الله (١٧٥ هـ/٧٩١ م) دفن بالقرافة الصغرى (الامام الشافعى) وبعد سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م أقام أبو زيد المصرى كبير التجار بناء على القبر ، واستمر أهل الخير يتبارون فى زيادة هذا البناء ، وحوالى عام ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨ جدد قبته الحـاج سيف الدين المقدم ، ثم جدد مرة ثانية فى أيام الناصر فرج بن برقوق (٨١١هـ/١٤٠٨م) ، وجدد بعد ذلك عدة مرات . ومعظم مبانى المسجد اليوم ـــ بمحرابه ومنبره ـــ حديث يرجع الى عمارة المرحوم اسماعيل بك بن راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤ هـ /١٨٧٧ وهو الذى جدد الايوان بالقبة . وقد كان ملوك مصر يقصدون قبر الامامين : الليثى والشافعى للزيارة والتبرك ، خصوصا السلطان قايتباى والسلطان الغورى .

ان المسجد الذى نزوره اليوم يعود معظمـه الى عام ١٨٧٧ ، ويتكون من مستطيل ، على يمينه يقع الضريح وهو حجرة مربعـة تعلوها قبة محمولة على أربعة عمد من الرخام ، وتحت القبة تركيبة من الرخام يحيط بها شريط من الكتابة تحتوى على آية الكرسى ، وحول التركيبة مقصورة خشبية مزخرفة ومطعمة بالعاج والأبنوس.

وأمام هذه القبة ، قبة أخرى فيها قبر محمد بن هارون الصوفى ، والمحدث شعيب بن الامام الليثى .

وفى الجانب الشرقى لجبانة الامام الليثى . قبر ابن عطاء الله السكندرى بجبانة سيدى على أبى الوفاء . ويقع القبر على بعد ٣٠ متر فى الجنوب الشرقى لمسجد سيدى على أبى الوفاء . وبجوار القبر من الغرب قبة تحتها قبر كمال الدين محمد المعروف بابن الهمام. وبالقرب منها فى الشمال الغربى قبر محمد بن سيد الناس ، وقبة أخرى تحتها قبر عبد الله بن أبى حمزة .

نعود الى شارع سيدى عقبة لنمر بتربة الفخر الفارسى (أثر٣١٦) وهى تقع فى منتصف الطريق بين مشهدى الامام الليثى والصحابى عقبة ابن عامر ، وبالقرب من قبر العلامة الحافظ بن حجر يوجد قبر الامام الفخر الفارسى ، ولم يبق من البناء اصلى سوى عمود من الرخام اسطوانى الشكل ، قطره ثلاثون سنتيمترا ، وارتفاع الظاهر منه الآن متران ، ومنقوش على نصفه الرأسى الغربى تسعة عشر سطرا بالخط النسخ الأيوبى الجيد ، وتبدأ بالبسملة ، ثم تاريخ وفاته السادس عشر من ذى الحجة من سنة ٦٢٢ هـ/وللفخر الفارسى مصنفات فى الأصول والكلام (يوسف أحمد : تربة الفخر الفارسى) .

مسجد سيدى عقبة (اثر ٥٣٥)
(١٠٥٥ هـ ١٦٥٥)

بقرافة الامام الشافعى ، وعقبة بن عامر هو الصحابى المحدث والشاعر ، وهو آخر من جمع القرآن . ولى على مصر لمدة سنتين وثلاثة أشهر الى أن صرف عنها (٦٦٧ م) وتوفى سنة ٦٧٨ م . عنى بتجديد مسجده وانشائه على ما هو عليه والى مصر الوزير محمد باشا السلحدار . وهو مسجد بسيط ، تشتمل وجهته الغربية على

الباب العام ، وتقوم على يساره المنارة . ويشتال المسجد على رواقين يتوسطهما صف من العقود المحمولة على عمد حجرية مثمنة ، وقد حلى سقفه بنقوش ملونة ، ومكتوب بازار سقف الرواق الشرقى أبيات من قصيدة البردة . ويحيط بجدران المسجد مجموعة من الشبابيك الجصية المحلاة بالزجاج الملون . وبالقبة قبر عقبة ، وهى فى الركن الغربى القبلى للمسجد ، وعلى القبر مقصورة خشبية ، والقبة منقوشة من الداخل .

ويقع بالقرب من مسجد عقبة ، قبة فاطمة البيضا ، وقبة ذى النون ، وقبة الزيلعى ، وقبة رابعة العدوية .

وذو النون المصرى من أشهر رجال الصوفية فى الاسلام ، وقد اشتغل بالطب أيضا ، وهو أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم . ولد بأخميم فى صعيد مصر حوالى سنة ١٨٠ هـ (٧٤٦ م) . ويقال ان سعدون الصوفى المصرى كان معلمه ورائده الروحى .

اكتسب خلال رحلاته العريضة الى مكة ودمشق ، وزيارته للنساك ، تعمقا فى النسك وكبح جماح النفس . وقد قال عن أسفاره :

« لقد حصلت فى أول أسفارى علما يرضى الخاصة والعامة ، وحصلت فى ثانيها علما يرضى الخاصة دون العامة ، وفى ثالث أسفارى حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة ، فغدوت شريدا طريدا . حصلت من العلم فى المرة الأولى ، التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء . وفى المرة الثانية ، وصلت الى التوكل على الله ومعاملته ومحبته ، وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تفهمها العامة ، وفى المرة الثالثة : وصلت الى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل فأعرضا عنها لم يتفهماها » .

ومن تعاليم ذى النون عن الروح أن النفس هى العقبة الرئيسية فى سبيل الكمال الروحى ، لأنها خاضعة لرغبات النفع الذاتى ، ولذلك وجب على المتطلع الى الله أن يحـارب نزواتها ويتغلب عليهـا » . ويعتقد ذو النون أن مخافة الله هى القـوة التى تدفع الرجـال الى النكوص عن الشرور ، وقال : « ان الخوف رقيب العمل ، والرجاء شفيع المحن » .

وفى عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) توفاه الله .

المراجع

أحمد تيمور : قبر الامام السيوطى وتحقيق موضعه . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .

اليزيدية ومنشأ نحلتهم . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها . مطبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥ .

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية . جزءان ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٦ .

عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، أربعة أجزاء . طبعة بولاق ، ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ .

عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة ، مطبعة نهضة مصر ، مجموعة الألف كتاب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

على مبارك باشا :الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها ، عشرون جزءا ، مطبعة بولاق ، ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ .

القلقشندى أبو العباس صبح الأعشى فى كتابة الانشاء ، ١٤ مجلدا ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩١٣ / ١٩١٧ .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، جزءان ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٨

محاضر لجنة الآثار العربية : صدر منها ٤١ جزءا من عام ١٨٨٢ الى عام ١٩٦٣ .

المقريزى، تقى الدين : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ .

وزارة الأوقاف : مساجد مصر ، جزءان كبيران ، القاهرة ١٩٥٤ .

يوسف احمد : تربة الفخر الفارسى ، بالقرافة الصغرى . القاهرة ١٩٢٢ من (سلسلة المحاضرات الأثرية ، المحاضرة ــ ١٥)

Casanova, P. : Histoire et Description de la Citadelle du Caire; Mem. publie's par la Mission Arch. Fr. du Caire t. sixième, 1897.

Creswell, K.A.C. : Archeological Researches at the Citadel of Cairo. Cairo 1924.

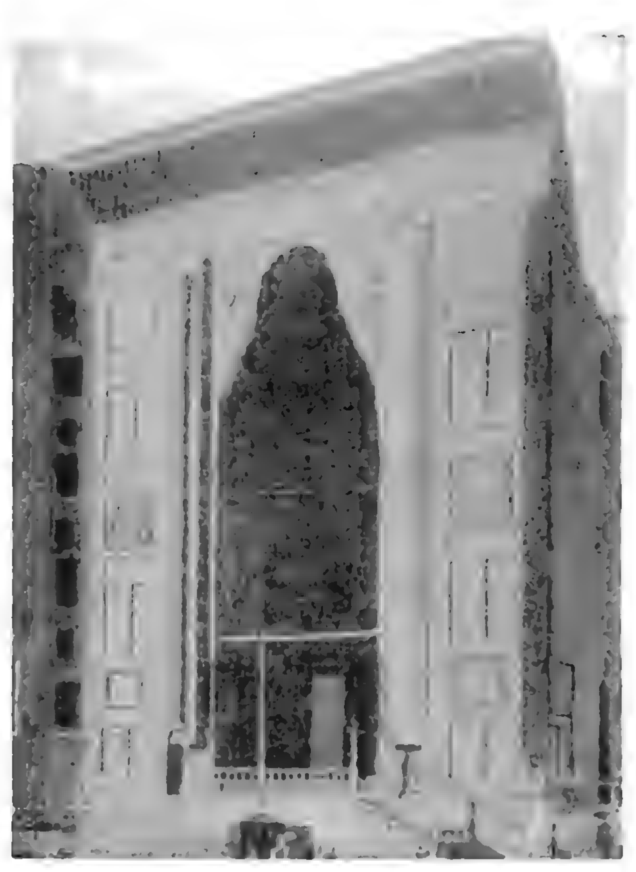
—— : Muslim Architecture of Egypt. Vol. II. Oxford 1956.

لوحات الكتاب

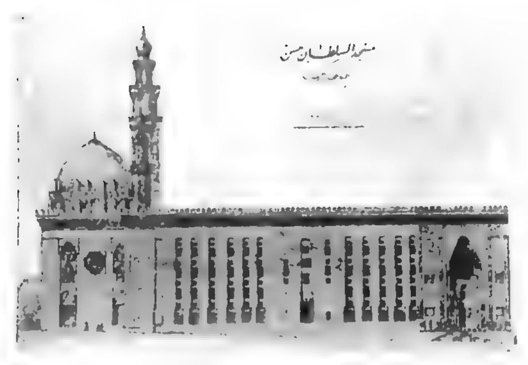
ميدان صلاح الدين تطل عليه مساجد المحمودية وقاني باي والرفاعي والسلطان حسن



مآذن وقباب مسجدي السلطان حسن والرفاعي



المدخل الشاهق لمدرسة السلطان حسن



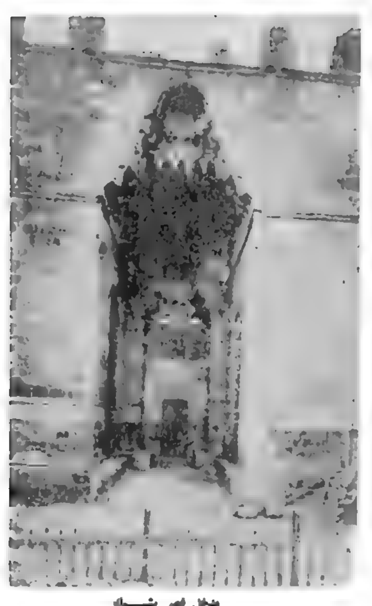
مسجد السلطان حسن (الواجهة البحرية)



صحن مدرسة السلطان حسن والميضأة



بقايا قصر بشبكه



مدخل قصر يشـبك

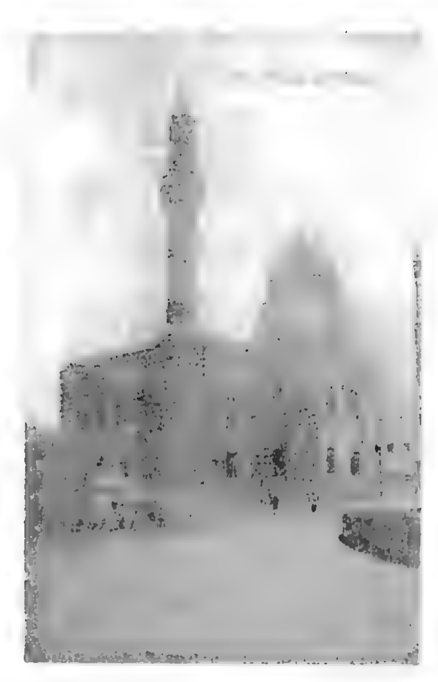
مسجد الرفاعي من الداخل



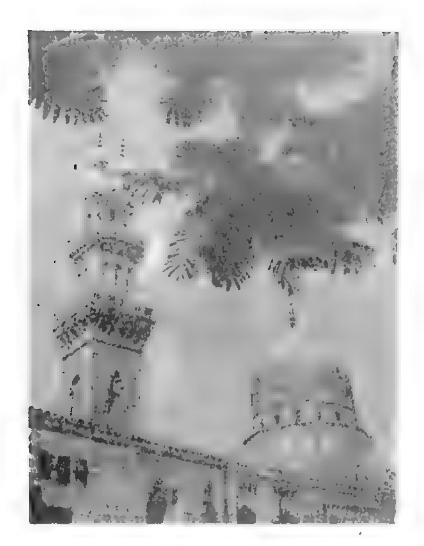
مسجد الرفاعي من الخارج



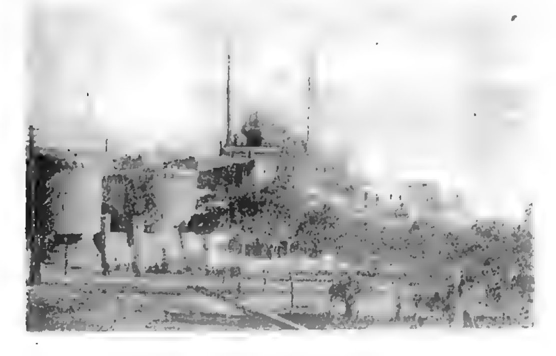
مسجد المحمودية من الداخل



مسجد المحمودية من الخارج



مسجد قانى باى ومئذنته



جامع محمد على وباب العزب المطلان على ميدان صـــلاح الدين



باب العزب المطل على ميدان صلاح الدين



تكية تقي الدين البسطامي



مسجد جوهر اللالا بدرب اللبانة



زاوية حسن الرومي بالمحجر



بيمارستان المؤيد (الواجهة)



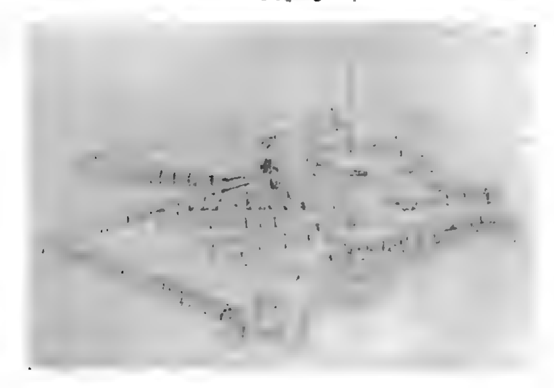
مدخل دار المحفوظات الجديدة



مسجد منجك اليوسفي من الداخل



قبة انس النيروزى الدوادار

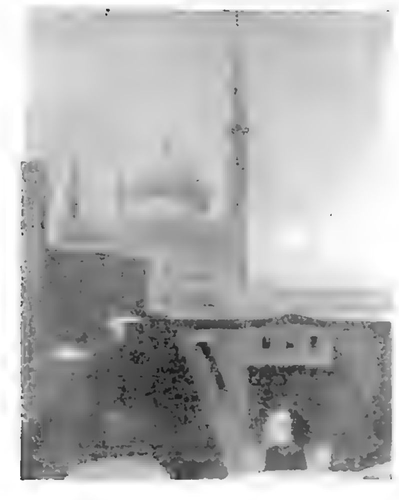


مخطط من اعلا القلعة يوضح مبانيها

باب القلعة الجديدة



باب المدرج



باب القلعة المتوسط



الكتابات المنقوشة عند باب البرج



الباب المؤدى الى ســاحة العلم بالقلعة



لوحة الغارة الغاشمة بســاحة العلم



باب القلعة الموصل لفناء المتحف الحربى (قصر الحرم)



مبنى دار الكتب المصرية المطل على فناء المتحف العربي



النسر المنقوش على أحد جدران القلعة الداخلية



احـــدى قاعات قصر الحريم

التاج النحلي العربي



مسجد الناصر محمد بن قلاوون من الداخل



بقايا ايوان الناصر محمد بن قلاوون



مسجد الناصر محمد بن قلاوون (المئذنة البحرية)



مسجد محمد على ومسجد الناصر محمد أثناء تجديد قبابهما



بوائك مسجد محمد على من الخارج



نقوش وزخارف احدى قباب مسجد محمد علي من الداخل



صحن مسجد محمد علي والميضأة والســـاعة

ضريح محمد عل بمسجده

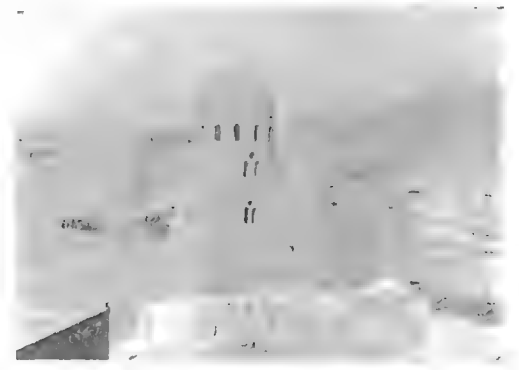


احدى قاعات متحف قصر الجوهرة بالقلعة

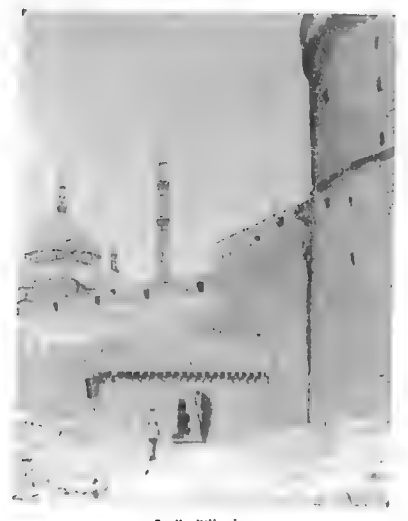


مسجد احمد كتخدا بداخل القلعة

قطعة من أسوار القلعة



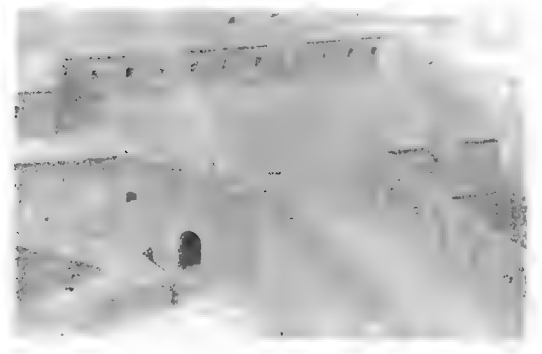
قبة يعقوب شـــاه بسفح المقطم



باب المقطم الشرقي



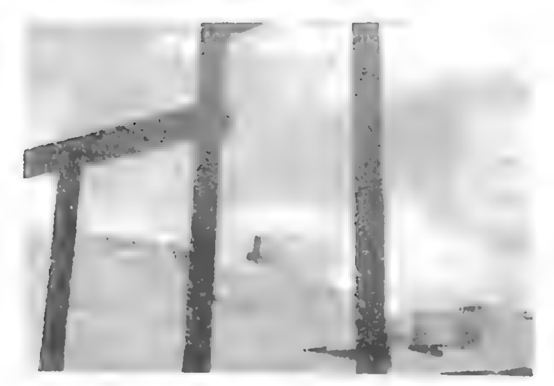
قلعة محمد علي (الواجهة والباب الرئيسي) باعلى المقطم



لقطة من اســوار قلعة محمد علي



مشهد الجيوشي باعلا المقطم



مشـهد الجيوشي عند بعد



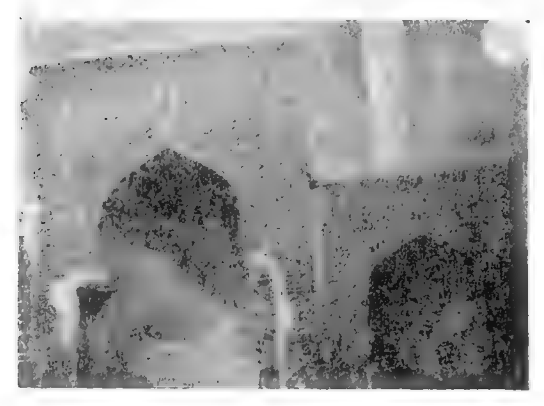
تكية المغاوري من الداخل



واجهة مدفن سليمان آغا الحنفي بالأبجية



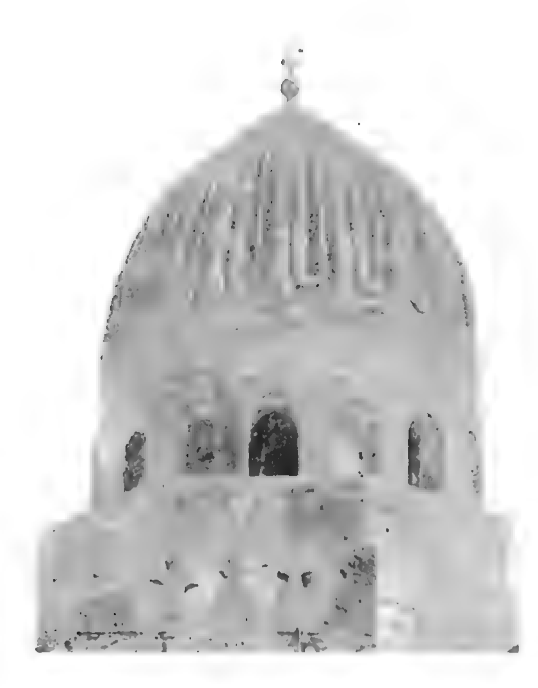
مشهد اخوة يوسف بسفح المقطم



قبة شـــاهين الخلوتى بسفح المقطم



قبة قوصون بصحراء السيوطي



قبة بدر الدين القرافى



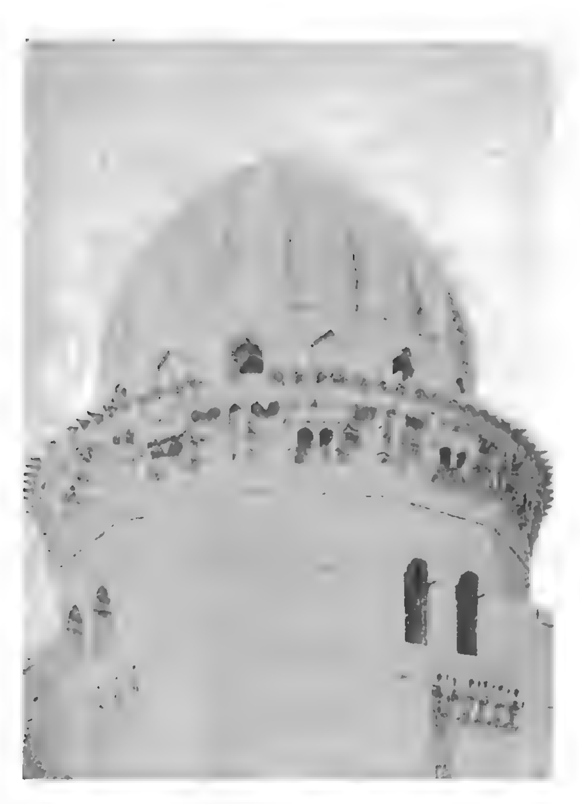
قبة الأمير سودون بصحراء السيوطي



قبة مصطفى جالق بصحراء السيوطي



ایران ریحان



قبة الأمير تنكيز بغا بقرافة السيوطي



قبة المتولى



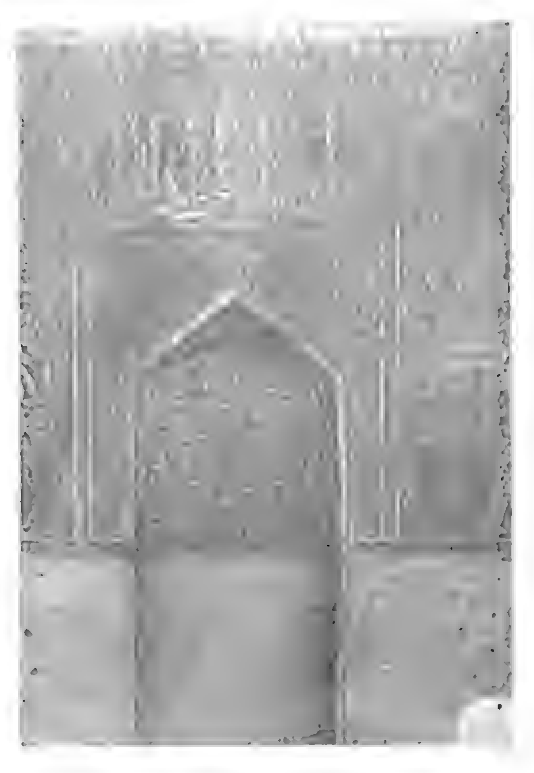
منارة الغوري بعرب اليســـار



زخرفة جصية بمدفن مصطفى باشا



زاوية زين الدين يوسف بشارع القادرية.



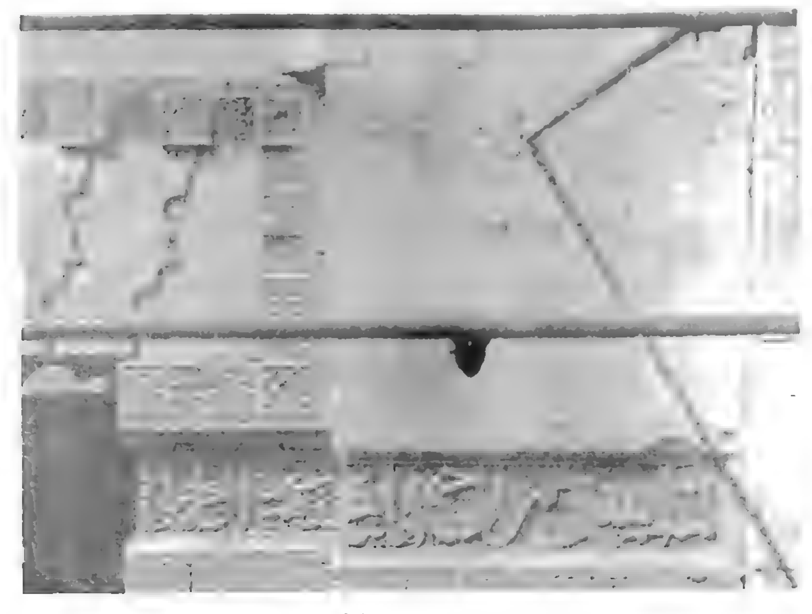
محراب زاوية زين الدين يوسف



باب قايتباى بالسيدة عائشة



قبة الصوابي بالإمام الشافعي
قبل الإصلاح



ايوان الثعالبة من الداخل



واجهة المقعد بمنزل رضوان اغا الرزاز



قبة السيد يحيى الشبيه



قبة وضريح الامام الشافعي



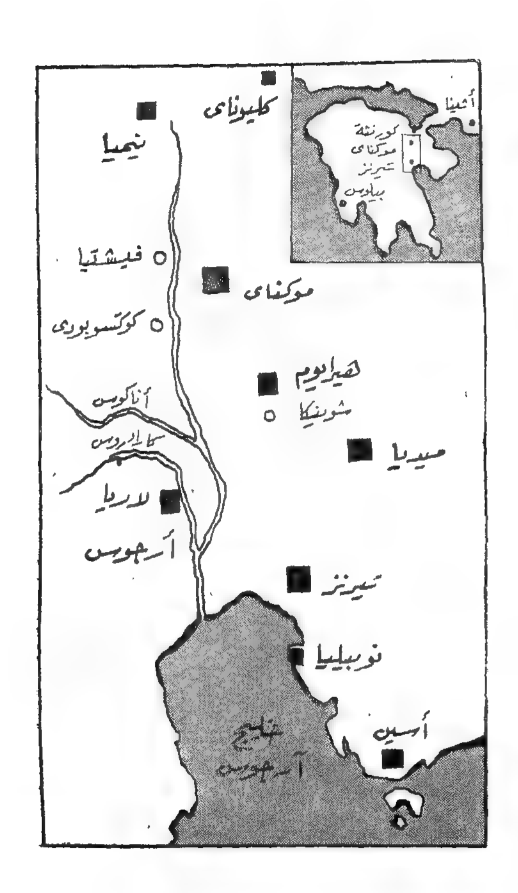
باب مشهد الإمام الليث



قبة سيدي عقبة



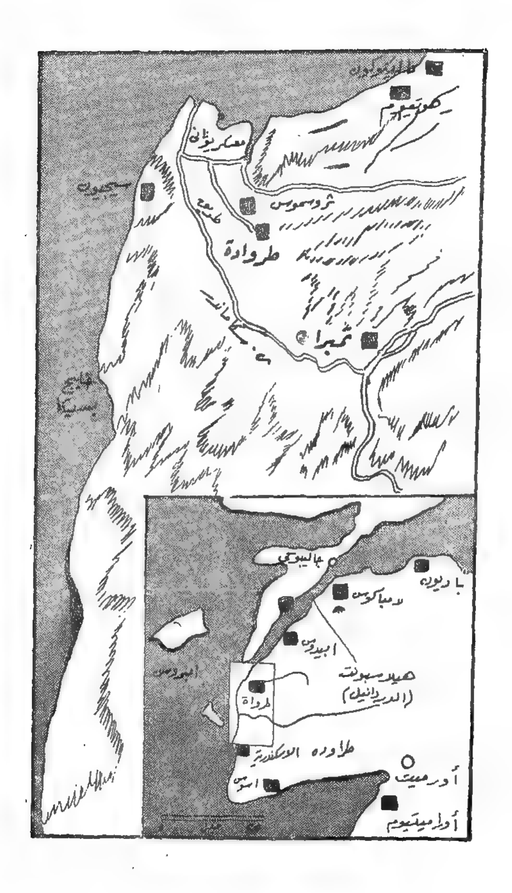
امتداد
ميلانو
فيرونا
فينيسيا
آدريا
جنوا
رافينا
بولونيا
بيزا
ارنو
فيتولونيا
روما
كابوا
الأدرياتيك
ساردينيا
صقلية
فلورنس
روما



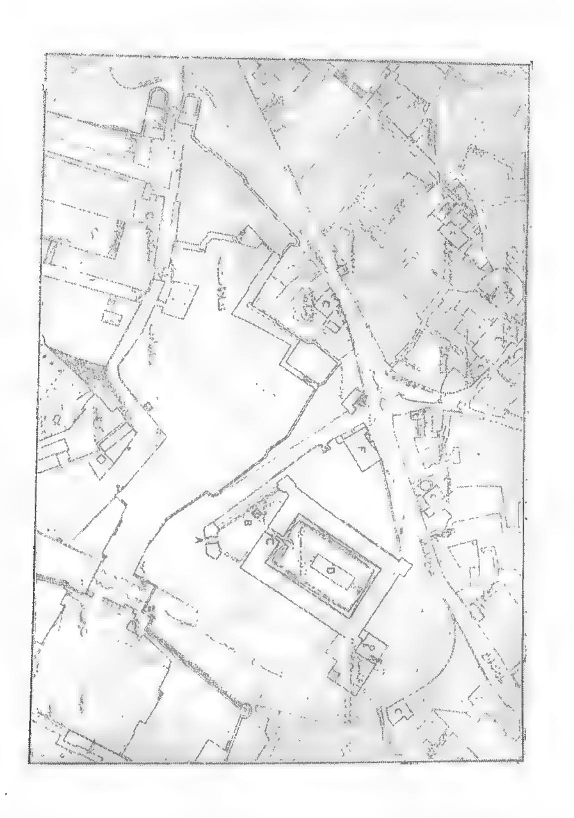
كليوناى
نيميا
أثينا
كورنثة
موكناى
تيرنز
بيلوس
فليشتيا
موكناى
كوكتسوبورى
هيرايوم
أناكوس
شوينكا
كاراردوس
ميديا
لاريا
أرجوس
تيرنز
نوبليا
أسين
خليج
آرجوس

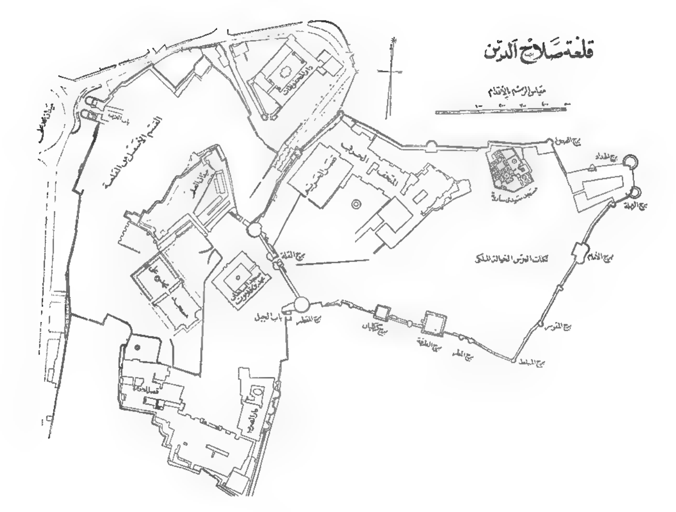


سكوبلجى
٥
ميل
٥٠
آكسيوس
بحيرة
أوخريد
ل. ميجالى
برسبا
مقدونية
إيجاى
بيلا
فيلبى
امفيبوليس
ابديرا
كالكيديس
أولنثوس
أبيروس
بيدنا
ديون
ثساليا
أوزيلا
تريكالا
لاريسا
دودونا
كرانون
فرسالوس
ارتا
آرجوس
هيراقليا
ايتوليا
ثرموبيلاى
امفيسا
دلفى
طيبه
ماراثون
أثينا
ليوكاس
سيفالينيا
أليس
أولمبيا
كورنث
موكناى
أرجوس
بيلوبونيس
الثوم
اسبرطة
بيلوس
كيثرا

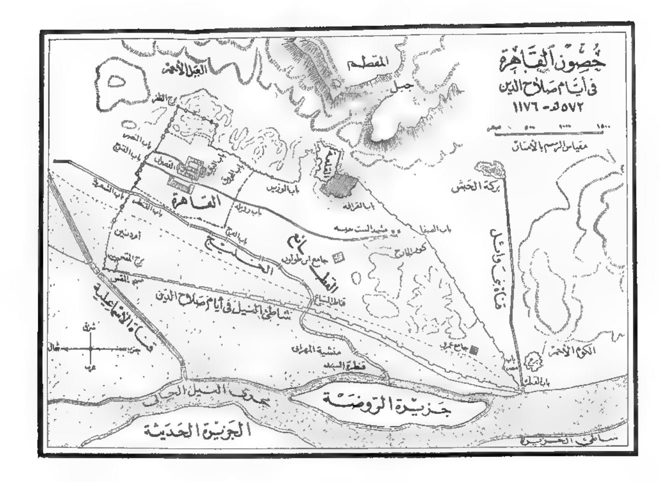


معسكر يونان
ثروسموس
طروادة
ثمبرا
جاليبولي
باريون
لامباكوس
ابيدوس
هيلاسبونت
(الدردانيل)
طرواة
طاروده الاسكندرية
أدرميت
اسوس
أوراميتيوم





قلعة صلاح الدين
مقياس الرسم بالأقدام
القسم الأسفل من القلعة
باب الجبل
برج المقطم
برج القلة
برج الإمام
برج الرملة
برج الحداد
مسجد سيدي سارية
المتحف الحربي
قصر الحريم
دار المحفوظات
ميدان العلم
مسجد محمد علي
مسجد الناصر محمد بن قلاوون



حصون القاهرة
في أيام صلاح الدين
٥٧٢ هـ - ١١٧٦
مقياس الرسم بالأمتار
المقطم
جبل
الجبل الأحمر
القلعة
بركة الحبش
القاهرة
باب الوزير
باب القرافة
باب الصفا
باب الفتوح
باب النصر
باب زويلة
باب الخرق
جامع ابن طولون
جامع عمرو
الخليج
شاطئ النيل في أيام صلاح الدين
قناطر السباع
منشية المهراني
قنطرة السد
قناة الإسماعيلية
مجرى النيل الحالي
جزيرة الروضة
الجزيرة الحديثة
الكوم الأحمر
باب القنطرة
شاطئ الجزيرة
شرق
غرب
شمال
جنوب

ثبت بلوحات الكتاب

١ ميدان صـــلاح الدين تطل عليه مساجد المحمودية والسلطان حسن الرفاعى وقانى باى الرماح

٢ مآذن وقباب مسجدى السلطان حسن والرفاعى

٣ المدخل الشاهق لمسجد/مدرسة السلطان حسن (أثر ١٣٣)

٤ مدرسة/مسجد حسن (الواجهة البحرية (أثر ١٣٣)

٥ صحن مدرسة السلطان حسن والميضأة فى القرن ١٩ (أثر ١٣٣)

٦ بقايا قصر يشبك

٧ مدخل قصر يشبك

٨ مسجد الرفاعى من الداخل

٩ مسجد الرفاعى من الخارج

١٠ مسجد المحمودية من الداخل (أثر ١٣٥)

١١ مسجد المحمودية من الخارج

١٢ مسجد قانى باى ومئذنته

١٣ باب العزب المطل على ميدان صلاح الدين

١٤ باب العزب وبدنتيه الضخمتين

١٥ تكية تقى الدين البساطمى

١٦ مسجد جوهر اللاله بدرب اللبان

١٧ زاوية حسن الرومى بالمحجر (أثر ٢٥٨)

١٨ بيماريستان المؤيد (الواجهة) (أثر ٢٥٧)

٤٢ احدى قاعات متحف قصر الجوهرة

٤٣ مسجد أحمد كتخدا بداخل القلعة

٤٤ قطعة من أسوار القلعة

٤٥ باب المقطم الشرقى

٤٦ قبة يعقوب شاه (أثر ٣٠٣)

٤٧ واجهة قلعة محمد على أعلا المقطم (أثر ٤٥٥)

٤٨ أسوار قلعة محمد على أعلا المقطم

٤٩ مشهد الجيوش فوق المقطم (أثر ٣٠٤)

٥٠ مشهد الجيوش على بعد

٥١ تكية المغاورة من الداخل

٥٢ واجهة سبيل مدفن سليمان أغا الحنفى بالأبجية (أثر ٣٠٢)

٥٣ مشهد أخوة يوسف بسفح المقطم (أثر ٣٠١)

٥٤ قبة شاهين الخلوتى بسفح المقطم (أثر ٢١٢)

٥٥ قبة قوصون بصحراء بقرافة السيوطى (أثر ٢٩١)

٥٦ قبة بدر الدين القرافى بقرافة السيوطى (أثر ٢٩٢)

٥٧ قبة مصطفى جالق (أثر ٢٩٥)

٥٨ قبة الأمير سودون بصحراء السيوطى (أثر ٢٩٤)

٥٩ ايوان ريحان (أثر ٢٩٧)

٦٠ قبة الأمير تنكزبغا (أثر ٢٩٨)

٦١ قبة عبد الله المنوفى (أثر ٣٠٠)

٦٢ مئذنة الغورى بعرب اليسار (أثر ١٥٩)

٦٣ زخرفة جصية بمدفن مصطفى باشا (أثر ٢٧٩)

٦٤ زاوية الدين يوسف بشارع القادرية (أثر ١٧٢)

خرائط ومخططات فى المتن

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ١١٥ —

التأليف [٧٩]

التاريخ [١٣]

القاهرة
١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٣٣٧٦

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة والإعلام



الثمن ٣٥ قرشا